جامعة الأزهر الشريف
كلية اللغة العربية ـــ القاهرة
قسم البلاغة والنقد

خلاف الظاهر فى الدعاء على المخاطب

دراسة بلاغية فى السنة النبوية

تأليف
دكتور / إبراهيم صلاح الهدهد
أستاذ البلاغة والنقد المساعد

الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

اللهم إنى أعوذ بك أن أذل أو أذل أو أجهل أو يجهل على ، كما أسـالك يارب أن تأخذ بناصيتى إليك وأن تدلنى عليك ، وأن تلهمنى القول الحق والفهم الصدق ، وأن تصرف عنى زيغ الشيطان ، وأن تجيرنى من الهوى ، وأن تقينى شر نفسى ، كما أسألك يارب أن تصلى على سيدنا محمد صلاة يسطع نورها فى أعلى عليين ، ويبقى أريجها أبد الآبدين ، وأن تغفر لى ولوالدى وأهلى وولدى وشيوخى أجمعين وبعد

فإن بيانه الشريف ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ أجل بيان بعد كلام الله ــ عز وعلا ــ وهو فى بيان البشر طبقة وحده ، فهو يحمل من نور الوحى الإلهى ما يسمو به إلى ذروة سنام البلاغة ، فقد أحاط ــ صلى الله عليه وسلم ــ باللغة لفظا وغاية ، مع أن طاقات اللسان العربى ثرة معطاءة ، لاتنتهى عند حد ، ولا يحيط بها الوصف ، ويبقى ما لايظهر من بلاغة اللسان أجل وأعظم من مكشوفه ، وتأسرك تراكيبه الحرة تحس جمالها ولاتطيق وصفها ، ويسبى العقول ذكاء هذه اللغة العبقرية ، ولم يكن عندهم ما يجلونه سوى الكلمة ، فأفرغوا فيها كل نفيس من مشاعرهم ، وقد عنى العرب بتجويد طاقات هذا اللسان ، لأنه لم يكن لهم فن سوى فن البيان ، و الكلمة كائن حى عند العرب فهى الربابة التى عزف عليها العربى أفراحه وأتراحه ، وبثها آلامه وأحزانه ، فلسان العرب أكثر اللغات مفردات ، وأغزرها معانى ، وأثراها تراكيب ، وقد عد الشافعى ــ رحمه الله ــ الإحاطة باللغة آية نبوة ، وذلك فى قوله " ولسان

العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا ، ولانعلمه يحيط بجميع ألفاظه إنسان غير نبى " .

ولم يكن فى العرب — كما يقول الرافعى — ولن يكون فيمن بعدهم أبد الدهر من ينفذ فى اللغة وأسرارها وضعا وتركيبا ، ويستعبد اللفظ الحر ، ويحيط بالعتيق من الكلام ، ويبلغ من ذلك إلى الصميم على ما كان من شأنه — صلى الله عليه وسلم — ولانعرف — والكلام للرافعى — فى الناس من يتهيأ له الأسلوب العصى الجامع المجتمع على توثق السرد وكمال الملاءمة كما تراه فى البيان النبوى .

وذلك لعالمية الرسول — صلى الله عليه وسلم — وعالمية الرسالة ، ولو لم يكن لهذه اللغة من الطاقات ما يؤهلها للعالمية لاصطفى ربنا للبشرية لغة سواها، واصطفاؤه — سبحانه — هذه اللغة للرسالة العالمية يدل على أن لغة العرب أصلح اللغات للعالمية على الإطلاق ، ولم يؤت أحد من البشر من القدرة على إدارة هذه اللغة، والإحاطة بمذاهبها ما أوتيه — صلى الله عليه وسلم — وذلك قوله " أوتيت جوامع الكلم " .

والنظرة المتجردة تنتهى إلى أن لغة العرب أوسع اللغات وأثراها ، وذلك لأنها أكثر لغات العالم أصواتا ومفردات والأصوات والمفردات هى مادة التراكيب ، فلغة العرب أصواتها (٣٤) صوتا ، تليها الفارسية الحديثة وأصواتها (٣٢) صوتا، والإنجليزية أصواتها (٢٦) صوتا منها المركب الذى يمكن الاستغناء عنه بغيره ، والعبرية أصواتها (٢٣) صوتا صامتا منها ستة أحرف بدائل تعوض نقصها .

هذا ولك أن تستعرض أكبر المعاجم لأكثر اللغات انتشـــارا فى العـــالم ، وستجد لغة العرب أوسع اللغات ، فمعجم المورد فى اللغة الإنجليزية وهو أوسع قواميسها يعدل ثلث معجم لسان العرب تقريبا ، ناهيك عن تهذيب اللغـــة أو تاج العروس، ومن خصوصية لغة العرب ، ومن خصائصنا نحن العرب أننا نفقــه شعر امرئ القيس ، أى نفقه ما كتب بلغتنا من أكثر من خمسة عشـــر قرنــا ، وليس هذا فى لغة أخرى ، وذلك للارتباط الوثيق بين لغتنا وعقيدتنا .

أقول هذا ويندى الجبين مما يرى ويسمع من استشراء الطعن على العربيـــة وتراثها برمته ، وقد ذكر زعيم الحداثيين (أدونيس) أنه علينا أن نعيد النظـــر جذريا فى هذا المجد لأنه مبعث اغترابنا عن ذاتنا اليوم ، وهؤلاء يعدون قواعـــد النحو والصرف والعروض وسواها قيودا تكبل المبدع ، ويصرحون بوجـــوب النظر فى الأدب الغربى ، ونقل صوره وأخيلته ، والنظر فى التوراة والإنجيل " لأن الكتاب المقدس كان مصدر استلهام فنى فى الشعر الأوربى " على حـــد تعبير أحدهم ــ وقلما يذكرون القرآن فى هذا السياق ، وغدا كثـــير منـــهم يصبغون ما يسمونه إبداعا بصبغة التوراة والإنجيل ، وغدت منزلـــة الإبـــداع مرتهنة عندهم بمقدار الابتعاد عما هو عربى وماهو دينى ، فبقدر قرب الإبـــداع من العقلية الأوربية تكون جودته ، تأمل شعر محمد الماغوط ، وقارن بين اســـم المبدع وإبداعه :

أشتهى أن أكون صفصافة خضراء قرب

الكنيسة

أو صليبا من الذهب فى صورة عذراء

تقلى السمك لحبيها العائد من المقهى

وإياك أن تسخر من هذا فإنه التقدم ، وإنه الإبداع الحقيقى ، وإنها منارات الهدى التى ينبغى اتباعها ، وإنها إضاءات تأخذ بيد الأمة من مهاوى التراث المتخلفة إلى مرافئ النجاة ، تأمل واحكم وارجع البصر ، هل ترى من خير ؟!! إنه حديث طائفة لاتصر على أن تكون أذيالا للغرب فحسب بل تجتهد فى أن تتبعها الأمة فى هذا ، فالغرب فى تقدم ورفاهية لأنه يشرب الخمر ، الغرب لايعرف حرمة العرض أنتبعه فى هذا لنتقدم كما تقدم هو ؟ !

والعجيب أن الغرب يأنف من هذه التبعية فى أمور الثقافة ، لأن به مفكرين أحرارا ، والمفكر الحر ينأى بنفسه عن احترام ذيل أصر على أن يكون ذيلا ، تأمل قول فولتير الكاتب الفرنسى المشهور " أنا لا أوافق على ما تقول ، ولكنى سأدافع حتى الموت كى تقول ماتريد " .

إنهم هم الغرباء لأنهم نقلوا إبداعات الغرب وحشروها فى كلامهم بما تحمله من معتقدات الغرب وتاريخهم وأفكارهم ، وهذا هو ماجعلها غامضة لأنها نابتة فى بيئة مختلفة ، تأمل قول حداثى مسلم يقول فى ثورة الجزائر الإسلامية :

أقسمت ياجزائرى الحبيبة

أن أحمل الصليب

أن أطأ اللهيب

بل إن بعض من يطلق عليهم فى الغرب مفكرون ــ وهو جزائرى مسلم ــ يرجع تخلف العرب والمسلمين ، وعدم وعيهم بالديمقراطية إلى الإيمان بوحدانية الله ، فيقول : طالما أن المسلمين يعتقدون أن لهم إلها واحدا وكتابا واحدا

ورسولا واحدا ، فسيظلون ديكتاتوريين ، أما الغرب فلا يملك إلا أن يكون ديمقراطيا ، لأنه يغرس مبدأ التعدد فى أبنائه منذ الصغر ، فهم يربون على الاعتقاد بتعدد الآلهة ، وتعدد الرسل ، وتعدد الكتب ، بربك هل عرفت أمة تقتل بيد أبنائها كما تقتل هذه الأمة ؟!

هذه نفثة ذكرتها فى مقدمة بحثى هذا ، ولست أملك إلا الكلمة ، فقد يحيى الله بها عقلا فتحيا به أمة ، لأن شيوخنا علمونا هذا ، وإن هذا اللغط يدفعنى دفعا إلى العكوف على هذه اللغة الشريفة ، بحثا ودرسا وأداء ، وهو ما يوشك أن يكون فرض عين على دارسى العربية .

وهذا بحث أقدمه فى الحديث الشريف دفعنى إليه حب استكشاف مرامى قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لسيدنا معاذ حين سأله يارسول الله أو إنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : ثكلتك أمك ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟ وقلت إنه من المحال أن يقصد بالدعاء هنا حقيقته لقرائن كثيرة ، وبينا أراجع أقوال السلف ، ونفائس إبداعاتهم وقعت على قول لأبى عبيد نقله القرطبى " والصحيح أن هذا اللفظ وشبهه تجرى على ألسنة العرب من غير قصد الدعاء به ، وهذا مذهب أبى عبيد فى هذه الكلمات وما شابهها ، وقد أحسن البديع فى بعض رسائله ، وأوضح هذا المعنى فقال : وقد يوحش اللفظ وكله ود ، ويكره الشئ وما من فعله بد ، هذه العرب تقول لاأبا لك للشئ إذا أهم ، وقاتله الله ولايريدون به الذم ، وويل أمه للأمر إذا تم ، وللألباب فى هذا الباب أن تنظر للقول وقائله ، فإن كان وليا فهو الولاء وإن خشن ، وإن كان عدوا فهو البلاء وإن حسن " .

أرأيت فى الإحالة على فقه الحال ومقتضاه ، وإبصار تنزيل المقال على المقـام أجل من هذا ، وهذا الأسلوب مغروس غرسا فى فطر الناس ، لـذا تراهـم فى عاميتهم يذكرونه فى مقامات خاصة ، ولايفى بحق المقام حينئذ أسلوب سـواه ، فهم يقولون لمن صدر منه أمر فوق طاقة العقل " خـرب الله بيتـه " بالعاميـة ولايقصدون بذلك الدعاء ، وإنما يقصدون أنه بلغ فى هذا الأمر مبلغا استحق به مدحا فوق العادة .

وقد استقريت ما جاء على هذا النسق فى الحديث الشريف ، واصطفيـت المنهج التحليلى طريقا تمضى الدراسة عليه ، فهو ألصق المناهج بهذا البحـث ، وقد ذكرت فى التمهيد حشدا من هذه الأساليب فى كلام العرب شعرا ونـثرا ، وعرضت مقالات البلاغيين واللغويين وأهل الأدب ، وشراح الحديث فى هـذا الأسلوب لتكون إضاءات بين يدى البحـث ، وإرشـادات فى فقـه مرامـى الأسلوب ، وتحديد مقاصده .

وقد حاولت فى كل المواطن الكشف عن معاقد الأسـلوب بالسـياق ، ومطابقته المقام ، والكشف عن العلاقة بين الاستعمال الحقيقـى والاسـتعمال المجازى ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يخرج فى الصورة التالية :

مقدمة وتمهيد يشمل مايلى :

التعبير عن الدعاء بلفظ الخبر وأسراره ــ الوجه فى إيراد الإنشاء فى صـورة الخبر ــ خلاف الظاهر فى الدعاء على المخاطب ومكانه من الدرس البلاغـى ــ الأسلوب عند أهل اللغة والأدب وشراح الحديث ــ خلاف الظاهر فى الدعـاء على المخاطب فى كلام العرب ــ وفى شعر العرب ــ الصيغ الواردة من هـذا

هذا وأسأل الله أن يوفقنى إلى خدمة هذه اللغة الشريفة ، وأن يتقبل منى هذا العمل ، وأن يجعله قربة أتقرب بها إليه ، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العــالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأمته .

المؤلف

إبراهيم صلاح الهدهد

التمهيد

التعبير عن الدعاء بلفظ الخبر وأسراره

ذكر البلاغيون أن الدعاء قد يقع موقع الإنشاء لأغراض منها :

أولا : التفاؤل ، وذلك أنك إذا قلت : غفر الله لك ، فقد أبرزت المطلـــوب فى صورة الحاصل ، وقد ذكروا أن استعمال هذا الأسلوب يكشف عـــن رغبـــة المتكلم فى صورة الطلب [1] وهو من ألطف المواقع وأدق الأساليب ، لذا يقول عنه شيخى أبو موسى : إن القول بمجيئه فى لفظ الخبر لايعنى أن المسألة مســـألة لفظ ، وأن الإنشاء بقى كما لو كان فى لفظ الإنشاء . . . الأمر أدق من هذا ، لأن الذى يحدث تغيير فى الحس بالمعنى والشعور به ، ولـــو تـــأملت لوجـــدت الحقيقة المعنوية والنفسية المعبر عنها بلفظ الخبر . . . فقولك : ارحم اللهم زيـدا ، دعاء منك لزيد بالرحمة ، وقولك : رحم الله زيدا دعاء منك له بالرحمة أيضا ، ولكن الرغبة هنا أكثر إلحاحا وأشد تعلقا بالنفس ، وكأنها لقوة إحاطتها بالقلب أوهمت أنها وقعت ، وأن الله قد ناله برحمته ، وأنت تخبر عن هذه الحالة [2]

ثم إن الأبر بالأساليب هو دراستها من حيث هى صورة لهواجـــس النفـــس وأحوال الشعور ، والتراكيب ما هى إلا قيد لحالة شعورية معينة ، ورمز لخطـوة من خطرات النفس ، يبصر ذلك من تمرس بفقه الأساليب وسبر غورها ، ورحل

---

[1] تلخيص المفتاح ٣٣٨/٢، ٣٣٩ ، ومواهب الفتاح وعروس الأفراح وحاشية الدسوقى ٢/ ٣٣٨ ، ٣٣٩ والأطول ١/ ٢٥٢ وشرح التلخيص للبابرتى ٣٦٨ ، ٣٦٩.

[2] دلالات التراكيب ٢٦٦ .

"حين ندرس خصائص التراكيب وأحواله ، إنما ندرس فى الحقيقــة خصــائص الحس وأحوال الشعور ، لأن الجملة بشياتها المتعلقة بالصياغة هــى فى الحقيقــة حالة ذهنية ، أو خطرة من خطرات النفس ، وخصائص الأحوال الروحيــة ، وملامحها وشياتها دقيقة جدا وغامضة وملبسة ، ثم هى منعكسة فى الكلام بكــل هذا الغموض وكل هذه الدقة والإلباس والتفلت ([1])

ومن أ حسن مواقع هذا الأسلوب لهذا الغرض فى السنة الشريفة ماروى عــن عبد الرحمن بن عوف ـــ رضى الله عنه ـــ أنه قال : دخلت يوما على أبى بكــر الصديق ـــ رضى الله عنه ـــ فى علته التى مات فيها ـــ فقلت له : أراك بارئـــا ياخليفة رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أما إنى على ذلك لشــديد الوجع . . . "

فقوله : " أراك بارئا ياخليفة رسول الله " من الجمل الدعائية التى جــاءت فى صيغة خبرية ، وصياغة المعانى الإنشائية فى أسلوب خبرى لها فى مثل هذا دلالــة نفسية دقيقة . . . وكأن عبارة الخبر هنا تجذب المعنى الإنشائى من حيز التوقــع والرجاء إلى حيز الوقوع والكينونة ، وتقذف به فى الزمن الماضى لتؤكد وقوعــه ، وهاهى تخبر عنه كما يخبر عن الأحداث السالفة والوقائع الماضية ، وفى هــذا الإطار لدلالة الإنشاء المكتسى صورة الخبر تدرك معنى قول عبد الرحمــن بــن عوف : أراك بارئا ياخليفة رسول الله ، وكأنه ـــ رضى الله عنه ـــ لما تعلقــت نفسه ، واشتد رجاؤه أن يبرأ هذا الخليفة الأغر الكريم تجاوزت نفسه الواقع إلى ماوراءه من الآمال والرغائب ، وهناك رأى هذا الأمل قد تحقق ، وبرئ خليفــة

([1]) دلالات التراكيب ٢٦٧ .

رسول الله مما به وهاهو يخبر عن ذلك ، وإن كان أبوبكر فى الحقيقة شديد الوجع ، وإن كان الموت يحوم حوله ، ويوشك أن يلامسه ، وهذه الخصوصية فى هذا الضرب من التعبير خصوصية جليلة وافية بحاجة النفس وأشواق الروح ، وكأنها واحدة من الأحوال الروحية الداخلة فى تركيب هذه اللغة ، وكأنه معنى هو فى طبيعة بنائها "([1])

وقد قرر البلاغيون أن هذه النكتة قاصرة من صور التعبير بالخبر عن الإنشاء على ما كان ماضيا منها ، لأن التفاؤل لايكون إلا به لابالمضارع ولابالاسم ، وقد شرح الدسوقى مقالة البلاغيين بقوله : " وحاصله أن الطالب لشئ إذا عظمت رغبته فيه كثر تصوره له ، وانقشعت صورة مطلوبه فى خياله ، فيخيل له أن مطلوبه غير الحاصل حاصل من زمن ماض ، فيعبر بالماضى المفيد للحصول للدلالة على الحرص فى وقوعه ، لأن التعبير بصيغة الحصول يفهم منها تخيل الحصول الملزوم لكثرة التصور الملزوم لكثرة الرغبة والحرص فى وقوعه ([2]) وبهذا يكون هذا الأسلوب من ألصق الأساليب بأحوال النفس ، وأدلها على ما بداخلها من الخواطر والأحاسيس .

ثانيا : إظهار الحرص على وقوع المطلوب ، وذلك كقولك : أحيا الله السنة ، بمعنى الدعاء بإحياء السنة ([3]) وأسلوب إيراد الإنشاء فى صورة الخبر هنا يأتى كاشفا عن شدة حرص المتكلم على وقوع مطلوبه ، وأنه قد بلغ من تعلقه به أن

([1]) قراءة فى الأدب القديم ٣١٢، ٣١٣ .

([2]) حاشية الدسوقى على مختصر السعد ٢ / ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

([3]) تلخيص المفتاح وشروحه ٢ / ٣٣٨ ، ٣٣٩ وشرح التلخيص للبابرتى ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

أورده مورد الشئ يخبر به ، وأنه أمر تحقق وقوعه ، وصار ماضيا يحكى ، وذلك أن البناء واش بأحوال نفس بانيه كاشف عنها ، وقد ذكر البلاغيون أن مثـــل هذا الأسلوب يحتمل التفاؤل وإظهار الحرص معا إذا صدر من البليغ "[١]

غير أن العصام ذكر أن الدعاء ممن يعرف هاتين النكتتين يحتملهما ســـواء كان بليغا أو لا ، وحمل البليغ عليه بعيد [٢] وأرى أنه لاتعارض بـــين مذهبـــه ومذهب الجمهور ، لأن المتحدث بهذا الأسلوب ما دام عارفا بهذين النكتتـــين ، فهو بليغ حال التحدث بهما .

وقد ذكر البلاغيون نكتتين أخريين لوقوع الخبر موقع الإنشاء هما :

١ ـــ الاحتراز عن صورة الأمر[٣] : ويكون السبب حينئـــذ التحاشـــى مـــن الوقوع فى سوء الأدب ، وقد ذكر العصام أن الأولى أن يقال : الاحتراز عـــن صورة الاستعلاء ليشمل الاحتراز عن صورة النهى أيضا [٤] وهو كلام جيـــد دقيق ، وقد مثلوا لذلك بقول العبد للمولى إذا حول وجهه عنه : ينظر المولى إلى ساعة ، متأدبا بين يديه محترزا عن الخطاب بصورة الأمر ، وهذا أمر ينظر فيـــه لحال المتكلم والمخاطب .

٢ ـــ حمل المخاطب على المطلوب بألطف وجه : وذلك بأن يكون السامع ممـــن لايحب أن يكذب الطالب مثل الأمير أو الأستاذ أو الحبيب ، فـــإن الخلـــف فى أقوالهم غير محبوب ، فإذا أخبروا عن شئ فكأنهم أمروا بذلك فى اعتقاد مثـــل

---

[١] تلخيص المفتاح وشروحه ٢ / ٣٣٨ ، ٣٣٩ .
[٢] الأطول ١ / ٢٥٢ .
[٣] التلخيص وشروحه ٢ / ٣٣٨ ، ٣٣٩ .
[٤] الأطول ١ / ٢٥٢ .

هذا السامع ، كما إذا قال لك مثل ذلك الطالب : تأتينى غدا ، وأنت لاتحب أن ينسب إلى الكذب لزمك إتيانك غدا ، وكذا إذا قال : لاتأتينى غدا ، بخلاف ما لو قال : ائتنى غدا أو لا تأتنى ، فإنه لايلزم مالزمك فى صورة الخبر ([1])

وقد أشار ابن جنى ــ رحمه الله ــ إلى النكتتين الأولين وهو يتحدث عن الأزمنة ودلالتها فى مجئ الشرط بلفظ الماضى تحقيقا للأمر وتثبيتا ثم يقول : ونحو ذلك من لفظ الدعاء ومجيئه على صورة الماضى الواقع ، نحو : أيدك الله ، وحرسك الله ، إنما كان ذلك تحقيقا له وتفؤلا بوقوعه أن هذا ثابت بإذن الله واقع غير ذى شك "([2])

الوجه فى إيراد الإنشاء فى صورة الخبر

ذكر البلاغيون أن استعمال الخبر فى هذه الصور إما أن يكون من المجاز المرسل لعلاقة الضدية ، وإما أن يكون من الاستعارة لعلاقة تشبيه غير الحاصل بالحاصل ([3]) هذا هو مذهب الجمهور ، وذكر بعضهم أنه يحتمل أن يجعل كناية فى بعضها ، وقد ذكر المولى عبد الحكيم : أن المراد ببعضها الصورتان الأخيرتان اللتان وقع فيهما الفعل المستقبل موقع الطلب بأن يقال : عن حصول الفعل فى الاستقبال لازم لطلب الفعل فى الحال فذكر اللازم وأريد الملزوم ، بخلاف الصورتين الأولين اللتين وقع فيهما الفعل الماضى موقع الطلب ، فإن حصول

([1]) التلخيص وشروحه ٢ / ٣٣٨ ، ٣٣٩ الأطول ١ / ٢٥٢ ، وشرح التلخيص للبابرتى ٣٦٩ .

([2]) الخصائص لابن جنى ٣ / ٣٣٢ .

([3]) التلخيص وشروحه ٢ / ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

الفعل فى الزمن الماضى ليس لازما لطلب الفعل فلا يصح جعلهما كناية ، بـــل يتعين كونهما مجازا " ([1])

وقد عارض العصام هذا الرأى فى الأطول حيث قال : ــ معلقا على قـــول الخطيب ــ (ويحتمل بعضها الكناية) " وفيه أن اللفظ لايكون محتملا للمجـــاز والكناية لأنه إن وجدت القرينة المانعة من إرادة الحقيقة فمجاز بلا شـبهة ، وإلا فكناية كذلك "([2]) وقاله ابن السبكى أيضا فى عروس الأفراح " وما ذكر مــن الكناية فيه نظر ، لأنه إذا جعل ذلك الخبر من باب الكناية كان خـــبرا لفظــا ومعنى ، وكان حقيقة ، والغرض أنه إنشاء بلفظ الخبر " ([3])

ويحسن هنا أن نذكر رأى سعد الدين التفتازانى فهو يـــرى أن اســتعمال الاستفهام وغيره من وسائل الإنشاء الطلبى من المجاز ، ثم ذكر أن " تحقيق كيفية هذا المجاز ، وبيان أنه من أى نوع من أنواعه مما لم يحم أحد حوله ، وهو إمـــا أن يكون مجازا بالاستعارة ، وهى تبعية فى نقل حرف الاستفهام من معناه إلى معــنى آخر غيره "([4]) ويرى الدسوقى أنه مجاز مرسل ([5])

والسكاكى ــ رحمه الله ــ يجعل هذا النوع من إخراج الكـــلام لاعلـــى مقتضى الظاهر ([6]) وهذا هو وجه بحثه فى علم المعانى ، والراجح فيما ســبق أن

([1]) حاشية الدسوقى على مختصر السعد ٢ / ٣٤٠ .
([2]) الأطول ١ / ٢٥٢ ، ٢٥٣ .
([3]) عروس الأفراح ٢ / ٣٣٩ .
([4]) المطول ٢٣٣ .
([5]) حاشية الدسوقى على مختصر السعد ٢ / ٣٤٠ .
([6]) مفتاح العلوم ١٧٣ .

استعمال الإنشاء فى صورة الخبر استعمال مجازى ، وأن نوع المجاز (الاستعارة — المجاز المرسل) تحدده طبيعة كل أسلوب ودلالته ، وهذا المبحث من المباحث التى يتشابك فيها علما المعانى والبيان ، والأسلوب الذى نحن بصدد دراسته مما خرج الكلام فيه على خلاف الظاهر ، وفى الوقت ذاته هو مستعمل فى المجاز فقد خرج من بابه إلى باب آخر .

هذا وهناك نكات أخر غير ما ذكره البلاغيون تظهر بتناول مواقع هذا الأسلوب فى البيان العربى بكل أجناسه ، وما ذكره أهل العلم هو إشارة لفتح الباب ، أما نكات ورود الإنشاء فى صورة الخبر أو العكس ، أو ورود الدعاء فى صورة الخبر فهى فوق الحصر لأنها نابعة من الأساليب والأساليب فوق الحصر ، لأنها صورة لأحوال النفس وأحوال النفس لاتتناهى ، وقل مثل ذلك فى الدرس البلاغى كله .

خلاف الظاهر فى الدعاء على المخاطب
ومكانه من الدرس البلاغى

سلف أن ذكرت أن الأبر بهذا الأسلوب أن يكون فى علم المعانى ، وأنه من المباحث التى يتشابك فيها علما المعانى والبيان ، الأول من حيث دلالة التركيب ، والثانى من حيث استعمال الإنشاء فى صورة الخبر ، غير أنى قد رأيت الطيبى — رحمه الله — ذكره فى أنواع الجناس ، وسماه جناس القلب فى المعانى ، فقد ذكر من أنواع الجناس الجناس القلبى ، وهو أربعة أنواع عنده :

١ — قلب الكل كقولك : كفه بحر وجنابه رحب .

٢ — قلب البعض : الدنيا حية لين حسها ، قاتل سمها .

٣ — قلب المجنح : وهو أن يقع أحد المتجانسين جناس القلب فى أول البيت ، والآخر فى آخره :

لاح أنوار الندى   من كفه فى كل حال

٤ — قلب المستوى : وهو كل كلام إذا قلت كان إياه :

مودته تدوم لكل هول   وهل كل مودته تدوم

ثم قال : تكميل : وههنا قلب لابأس أن نذكره مستطردا وهو إما فى التراكيب كقولهم عرضت الناقة على الحوض ، ثم قال : قال الشيخ — يقصد السكاكى — هو شعبة من الإخراج لا على مقتضى الظاهر ، وهو مما يورث الكلام ملاحة، ولايشجع عليه إلا كمال البلاغة ، ورده بعضهم والحق أنه إذا تضمن

لطيفة قبل ، ثم استطرد فى بيان الوجوه التى يأتى عليها القلب وهى ممدوحة ، ثم قال : أو فى المعانى كقولهم : " قاتله الله ما أشجعه " وقول جميل :

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى   وفى الغر من أنيابها بالقوادح

مرادا به : ما أحسن عينها وأنيابها ، والسبب أنه لما تناهتا فى الحسن بحيث :

جنت عن الوصف حتى ما يطالبها   وهم فتخلفها فى الوصف أسماء

دعا عليها تنبيها به على العجز عن وصفها فأفاد التعجب ، وقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عليك بذات الدين تربت يداك ، قال أبو عبيدة : لم يتعمد به الدعاء بالفقر ، وقال ابن الأنبارى معناه : لله درك إذا استعملت ما أمرتك "[1] وعليه فالأسلوب عنده من البديع اللفظى ، غير أن ما ذكره لايجوز ، لأن القلب أمر متعلق باللفظ ذاتا ، وهو تحسين عرضى كما ذكر المتأخرون — وإن لم نوافقهم على ذلك — أما أن يكون ذلك فى المعنى فلا ، والذى أراه أنه ذكره على سبيل التوقع .

وقد جعله السجلماسى نوعا ثالثا من الجنس الرابع (المبالغة) حيث قال : النوع الثالث : هذا النوع هو : إما وضع المدح موضع الذم ، وإخراجه مخرجه ، وإما وضع الذم موضع المدح وإخراجه مخرجه ، فلذلك هذا النوع الثالث هو أيضا جنس متوسط تحته نوعان : الأول : ورود المدح فى صورة الذم ، والثانى : ورود الذم فى صورة المدح .

النوع الأول : ورود المدح فى صورة الذم : ورود المدح فى صورة الذم هو إشعار بأن الممدوح قد حصل فى رتبة من يشتم ؛ حسدا له على فضله ، وبهذه

---

[1] التبيان للطيبى ٤٩٠ : ٤٩٣ بتصرف .

أبناء جنسه ، لأن الفاضل هو الذى يحسد ويوقع فى عرضه ، والناقص لايلتفت إليه ، وقد صرح الشاعر بهذا فقال :

ولاخلوت الدهر من حاسد　　فإنما الفاضل من يحسد

فمن قبل هذا كان له من المبالغة أكثر مما لو جرى الأمر فى ذلك على المجرى الطبيعى ، وذلك قولهم : قاتله الله ما أشعره ، ولعنه الله ما أفصحه ، وما أشبه ذلك "(١)

وهذا كلام جيد غير أن الأسلوب الذى نحن بصدد دراسته لايمكن أن يدرج كله هنا ، لأن منه ما لايقصد من سوقه المدح ، وإنما تكمن وراءه مقاصد أخر ، ترشد إليها التراكيب فى البيان الشريف كما سيأتى فى حينه ـ بعون الله.

ونخلص من هذا إلى أن كلام الشيخين يفيدنا فى الكشف عن بعض مقاصد هذا الأسلوب ، فهو مما يورث الكلام ملاحة ، وهو مما يدل على الحذق فى البلاغة ، وأن من مواقع هذا الأسلوب ما يفيد التعجب ، ومنه مايفيد المبالغة فى المدح ، وكأن بلوغه فى صفة ما قد بلغ غاية يحسد عليها ويشتم عليها ، كما نقول نحن فى عاميتنا لمن يدهش ذكاؤه (يلعنك الله) والمقام حينئذ للمدح ، لكن إيراد هذا الأسلوب يدل على الغاية فى المدح ، ويكشف عن غاية دهش المتكلم .

---

(١) المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع ٢٩٦ .

الأسلوب عند أهل اللغة والأدب

سماه أهل اللغة مخالفة ظاهر اللفظ معناه ، قال ابن فارس : فمن سنن العرب مخالفة ظاهر اللفظ معناه ، كقولهم عند المدح : قاتله الله مأأشعره ، فهم يقولون هذا ولايريدون وقوعه ، ومنه قول امرئ القيس يصف راميا :

فهو لاتنمى رميته   ماله لاعد من نفره

ومنه قولهم : هوت أمه وهبلته وثكلته ، قال كعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه :

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا   وماذا يؤدى الليل حين يؤوب

وهذا يكون عند التعجب من إصابة الرجل فى رميه أو فى فعله " ([1]) وقد نقل السيوطى ــ رحمه الله ــ كلام ابن فارس ،غير أنه عنون للفصل بقوله : فصل فى جملة من سنن العرب التى لاتوجد فى غير لغتهم " ([2])

وقد تعرض صاحب خزانة الأدب فى مواطن من كتبه لهذا الأسلوب ، وأورد كلاما يكشف عن أسرار المواقع التى ذكرها وقد قال فى قول كعب :

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا   وماذا يؤدى الليل حين يؤوب

" والمراد ليس الدعاء بالوقوع ، بل التعجب والمدح ، كقولهم : قاتله الله ما أفصحه ، يعنى أنه مستحق لأن يحسد ويدعى عليه "([3]) وواضح أن سياق

([1]) الصاحبى ٣٢٤ .

([2]) المزهر ٢ / ٣٣١ .

([3]) خزانة الأدب للبغدادى ١٠ /٤٣٦ .

القصيدة هو القاضى بتخريج الأسلوب على هذا المقصد ، فالقصيدة فى الرثاء ، والرثاء أخو المديح حيث يعنى كلاهما بذكر المناقب ، وكذلك قولــه فى قــول سلمى بن ربيعة فى معاتبته امرأته تماضر :

زعمت تماضر أننى إما أمت   يسدد أبينوها الأصاغر خلتى

تربت يداك وهل رأيت لقومه   مثل على يسرى وحين تعلتى

أى : خاب رجاؤك حين تعدلين بى أطفالا ، وقد رأيت الرجال أعياهم مكــانى ، وتربت يداك معناه : صار فى يدك التراب ، أى لك الخيبة مما أملــت ، وهــى كلمة تقال للمخطئ وجه القصد "([1]) ومعنى ما أورده أن الكلمة اســتعملت استعمالا مجازيا ، وأنه ليس المقصود الدعاء عليها ، ولكــن المقصــود تنبيــه المخاطب إلى الخطأ الذى وقع فيه ، وهو ما يرشد إليه سياق الأبيات ، وقد ذكر أيضا تعليقا على قول امرئ القيس :

ولما دخلت الخدر خدر عنيزة   فقالت لك الويلات إنك مرجلى

قال الخطيب : " وقوله : لك الويلات ، فيه قولان أحدهما : أن يكون دعـاء منها عليه إذ كانت تخاف أن يعقر بعيرها ، والثانى : أن يكون دعاء منها له على الحقيقة ، كما تقول العرب للرجل إذا رمى فأجاد ، قاتله الله ما أرماه ، وحقيقة ذلك أنه يجرى مجرى المدح والثناء "([2])

([1]) خزانة الأدب ٨ / ٤١ .

([2]) خزانة الأدب ٣ / ٤٥٤ .

والراجح — فيما أرى — أن ظاهره الدعاء وباطنه الود والثنـــاء فالمقـــام للغزل واللهو ، وليس مقام مباغضة ومكارهة حتى يحمل اللفظ على ظـــاهره ، وكان للخطيب وقفة طويلة مع قول جميل :

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى وفى الغر من أنيابها بالقوادح

قال الخطيب : على أن الشئ إذا بلغ غايته يدعى عليه ؛ صونا عن عين الكمـــال ، وذكر رأى ابن الأنبارى فى الزاهر ، ومؤداه أن رمى الله . . . يفيد التعجب ، وكذلك قول المرزوقى فى شرح الفصيح ، قال : قيل إنه لم يدع عليها بذلـــك ، وإنما هو كما يقال : قاتله الله ما أفرسه على وجه التعجب ، وحكى بعض أهـــل اللغة أن مما يشهد لطريق التعجب فى مثل هذا أن بعضهم عدل عن لفظ قـــاتل إلى قاتع ، فقال : قاتعه الله ما أشجعه ليزول المكروه من اللفظ كما لم يكـــن فى المعنى ، ثم ذكر المرزوقى تأويلا آخر رجحه على التـــأويل الأول ، وذلك أنـــه أراد بالعينين رقيبيها وبالغر من أنيابها : كرام ذويها وعشيرتها ، والمعنى : أفنـــاهم الله وأراهم المنكرات ، فهو فى الظاهر يشتمها ، وفى النية يشتم من يتأذى بـــــه فيها ، . . . وقيل : أراد بلعنها الله أقصى غايات العمر حتى تبطـــل عواملـــها وحواسها ، فالدعاء على هذا لها لاعليها [1] ، هذا وقد رجـــح فى النهايـــة أن يكون ذلك دعاء منه عليها حقيقة ، وساق روايات عن أبى الفرج وغيره ترجح القول بأنه قال هذا البيت بعد ما انصرف عنها وهجرها.

---

[1] خزانة الأدب ٦ / ٣٩٨ : ٤٠٣ .

وقد قال الأصمعى عند قوله ـ صلى الله عليه وسلم " عليك بذات الدين تربت يداك " إنما أراد الاستحثاث كما تقول للرجل : انج ثكلتك أمك ، وأنت لاتريد أن تثكل "(١)

هذا وتاول ابن جنى الأسماء التى تفيد خلاف الظاهر قياسا على الأسلوب الذى تتناوله هذه الدراسة حيث قال : " فإن قلت : فإن الشاة من قولهم : رجل أشوه ، وامرأة شوهاء للقبيحين . . . ففيه جوابان : أحدهما : أن تكون الشاة جرت مجرى القلب لدفع العين عنها لحسنها ، كما يقال فى استحسان الشئ : قاتله الله كقوله :

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى   وفى الشنب من أنيابها بالقوادح

وهو كثير ، والآخر أن يكون من باب السلب . . . ومنه تحوب وتأثم : ترك الحوب والإثم "(٢)

نخلص من هذا إلى أن أهل اللغة والأدب كانت لهم وقفات لطيفة عند هذا الأسلوب ، وقد ذكروا أن الأسلوب جاء على خلاف الظاهر للطائف منها التعجب والتنبيه على خطأ المخاطب ، والمدح والاستحثاث .

---

(١) المزهر ٢ / ٢٦٨ .

(٢) الخصائص ٢ / ١٢٢ ، ١٢٣ .

الأسلوب عند شراح الحديث الشريف

لشراح الحديث فى هذا الباب كلمات تكتب بماء التبر لابالحبر ، فقد ذكروا فى التعليق على قوله : ـ صلى الله عليه وسلم ـ تربت يداك " كلاما يفتح آفاقا للدرس البلاغى فى إضاءة هذا الأسلوب ، قال الهروى فى حديث خزيمة " أنعم صباحا تربت يداك " فأراد الدعاء له ، ولم يرد الدعاء عليه ، والعرب تقول : لاأم لك ، ولاأب لك ، يريدون لله درك ، وقال عياض : هذا خطاب على عادة العرب فى استعمال هذه الألفاظ عند الإنكار للشئ والتأنيس أو الإعجاب أو الاستعظام لايريدون معناها الأصلى "(1)

وقال العينى فى مقام آخر : " واختلفوا فى معنى تربت يداك ، فقيل : هو دعاء فى الأصل إلا أن العرب تستعملها للإنكار والتعجب والتعظيم والحث على الشئ "(2)

وقال العينى فى مقام آخر : " قال ابن السكيت : أصل تربت افتقرت ، ولكنها كلمة تقال ، ولايراد بها الدعاء ، وإنما يراد التحريض على الفعل ، وأنه إن خالف أساء . . . وقيل : هى كلمة تستعمل فى المدح عند المبالغة ، كما قالوا للشاعر : قاتله الله لقد أجاد ، وقال ابن الأثير : ويقال للأمر الذى يتعجب منه عقرى حلقى "(3)

---

(1) عمدة القارى ٢ / ٢١١ ، ٢١٢ .

(2) السابق ٢٠ / ٨٦ .

(3) عمدة القارى ٢٢ / ١٩٠ .

وقال ابن حجر فى التعليق على " تربت يمينك " وهى من الألفاظ التى تطلق عند الزجر ، ولايراد بها ظاهرها " (١)

وما أجل قول أبى عبيد ــ فيما نقله القرطبى فى المفهم ــ عند قولـــه : ــ صلى الله عليه وسلم ــ تربت يداك " والصحيح أن هذا اللفظ وشبهه تجـــرى على ألسنة العرب من غير قصد الدعاء به ، وهذا مذهب أبى عبيـــد فى هـــذه الكلمات وما شابهها ، وقد أحسن البديع فى بعض رسائله ، وأوضح هذا المعـنى فقال : وقد يوحش اللفظ وكله ود ، ويكره الشئ وما من فعله بـــد ، هـــذه العرب تقول : لأبا لك للشئ إذا أهم ، وقاتله الله ولايريدون به الذم ، وويـــل للأمر إذا تم ، وللألباب فى هذا الباب أن تنظر إلى القول وقائله ، فإن كان وليـــا فهو الولاء وإن خشن ، وإن كان عدوا فهو البلاء وإن حسن "(٢)

وهذا كلام من أجود ما قيل فى فقه الحال ومقتضاه ، وإبصار تتريل المقـــال على المقام ، وهو عمل البلاغيين الأول وشغل البلاغيين الشاغل ، أضف إلى مـــا سبق قول الأبى فى تربت يداك " إن العرب تستعمله لمعان أخر كالمعاتبة والإنكار والتعجب وتعظيم الأمر والحث على الشئ "(٣)

وهذه الأسطر على قلتها تفتح آفاق هذا الأسلوب ، وتضع المعـــالم لفقـــه البيان النبوى الشريف وكلام العرب ، ويمكن أن نستخلص من هذا الكـــلام أن هذا الأسلوب يخرج عن الدعاء لأغراض ومقاصد بلاغية منها :

---

(١) فتح البارى ١ / ١٨٥ .

(٢) المفهم ١ / ١١٢ ، وشرح الأبى على مسلم ٢ / ٨٥ ، ٨٦ والسنوسى عليه ٢ / ٨٦ .

(٣) شرح الأبى على مسلم ٤ / ٩٢ .

١ ـــ الإنكار .

٢ ـــ التأنيس .

٣ ـــ الإعجاب .

٤ ـــ الاستعظام .

٥ ـــ التعظيم .

٦ ـــ الحث على الشئ .

٧ ـــ المدح .

٨ ـــ المعاتبة .

٩ ـــ الترغيب فى الشئ .

١٠ ـــ التعجب .

وبقى على دارسى البلاغة فقه هذا الأسلوب فى كل موقـــع فى الحديـــث الشريف وكلام العرب ، وبيان حاجة السياق والمقام إليه .

الدعاء على المخاطب وغيره فى كلام العرب

باستقراء كثير من مصادر التراث لم أر أجمع من كلام السيوطى فى المزهر لهذه الأساليب فى باب ما يدعى به عليه ، تقول العرب : ماله آم وعام ، أى ماله هلكت امرأته ، وعام أى : هلكت ماشيته حتى يعام إلى اللبن ، أى تشتد شهوته إليه .

وتقول : ماله حرب (بفتح الحاء المهملة وضمها وكسرها) وذرب : أى ذرب جسده وثل عرشه ، وأبرد الله مخه أى هزله ، وأبرد الله غبوقه : أى لا كان له لبن حتى يشرب الماء ، وعثر جسده ، ورماه الله بغاشية : وهى وجع يأخذ على الكبد يكوى منه .

ورماه الله بالسخاف (بضم الخاء) وهو وجع يأخذ الكتفين ، وينفث صاحبه مثل العصب ، ورماه الله بالعرفة : وهى قرحة تأخذ اليد والرجل ، وربما أشلت ، ورماه الله بالجبن والقداد : وهو داء يأخذ فى بطنه ، ورماه الله بليلة لا أخت لها : أى بليلة يموت فيها ، وماله جدت حلائبه : أى لا كانت له إبل .

ورماه الله بأفعى جارية ، وذبلته الذبول : أى ثكلته أمه ، ورماه الله بما يقبض عصبه ، وشتت الله شعبه ، ومسح الله فاه ، ورماه بالذبحة ، ، ولا ترك له هاربا ولاقاربا ، وجعل الله رزقه فوت فمه ، ورماه الله فى نيطه ، وقطع الله به السبب ، وقطع الله لهجته ، ، وقد الله أثره ، ولا أهدى الله له عافته وثل عرشه ، وحته الله حت البرمة ، ولاتبع له ظلف ظلفا وشل وسل وغل وأل ، ولاعد من نفره ، ورماه الله بكل داء يعرف وداء لايعرف ،

وسحقه الله ، ولاأبقى الله لهم سارحا ولاجارحا ، يعنون به : لاأبقى لهم مالا ، ورماه الله بالقمصل وهو وجع يأخذ الدابة فى ظهرها ، ويقولون : ألصق الله به الحوبة أى الحاجة والمسكنة ، ويقولون : لحاه الله : أى قشره كما يلحى العود إذا أخذ عنه لحاه ، ورماه الله بالسكات ، ولاترك الله له ظفرا ولاشفرا ، ويقولون شعبت به الشعوب أى : ذهبت به المنية ، ورماه الله بالسواف أى : بهلاك المال .

ويقولون : ماله طال عسفه أى : هوانه ، وماله استأصل الله شأفته ، والشأفة : قرحة تكون أسفل رجل الإنسان وفى خف البعير ، ، ويقال : رماه الله بوامئة أى : ببلاء وشر ، ويقولون : أباد الله عترته أى : ذهب بأهل بيته ، وشحبه الله أى : أهلكه ، ويقولون : أتعس الله جده وأنكسه ، ويقولون : هوت أمه بالثكل ، ويقولون : سقاك الله دم جوفك (١)

وغير ذلك كثير مما جاء فى كلامهم ، والسياق المقالى والمقامى هو الذى يحدد مقصودهم من الدعاء ، وهو الذى يعين ما جاء منه على الحقيقة وما جاء منه على المجاز ، وما جاء على الظاهر وما جاء على خلاف الظاهر ، وتحدد المقاصد من كل بسبر غور السياق وفقه المقام .

---

(١) المزهر للسيوطى ٢ / ٢٦٣ بتصرف .

الدعاء على المخاطب وغيره فى الشعر العربى

ورد كثير من هذه الأساليب فى الشعر العربى وكثير منها جاء على خلاف الظاهر نورد نماذج منها لبيان أن هذا الأسلوب من الأساليب الشعرية العالية إذ ورد على الألسنة شعراء لهم باعهم فى البيان العربى ، وقد رتبنا أقوالهم فى كل أسلوب حسب أقدمية كل شاعر.

أسلوب ثكل

قال المتلمس الضبعى: ثكلتك يابن العبد أمك سادرا أبساحة الملك الهمام تمرس

قالت الخرنق بنت بدر:ألا ثكلتك أمك عبد عمرو أبا الخزيات آخيت الملوك

هم دحوك للوركين دما ولو سألوا لأعطيت البروك

قال حسان بن ثابت:أجزرتهم عرضى تمكم سادرا ثكلتك أمك غير عرضى أجزر

قال الفرزدق : عزيز من اللائى ينازل قرنه وقد ثكلته أمه من ينازله

قال أبو نواس : رغيف سعيد عنده عدل نفسه يقلبه طورا وطورا يلاعبه

ويخرجه من كمه فيشمه ويجلسه فى حجره ويخاطبه

وإن جاءه المسكين يطلب فضله فقد ثكلته أمه وأقاربه

قال الباهلى : فبمثل ذا ثكلتك أمك تبتغى رتب المعالى

قال أبو تمام : ثكلتك أمك يا أخى أن كنت عندى صحيح الأمر . . .

قال البحترى : ثكلتك كافرة أتت بك فجرة ألا اجتنبت العارض المجنونا

وقال : ثكلتكم أما تكم أفلا يد ترعى ألا وصل ألا إلمام

قال الشريف الرضى : ثكلتك أرض لم تلد لك ثانيا أنى ومثلك معوذ الميلاد
قال سبط بن التعاويذى : ثكلتك أى جميل رأيت من ذلك النـــذل فى صحبته

أسلوب لاأبالك

قال لقيط بن يعمر:

ألا تخافون قوما ــ لاأبا لكم ــ أمسوا إليكم كأمثال الدبا سرعا

قال الشنفرى : فأنت البعل يومئذ فقومى بسوطك ــ لاأبا لك ــ فاضربينى

قال المتلمس الضبعى:

ألق الصحيفة ــ لاأبا لك ــ إنه يخشى عليك من الحباء النقرس

قال الحارث بن حلزة :

ألا تخافون قوما ــ لاأبا لكم ــ أمسوا إليكم كأمثال الدبا سرعا

قال عنترة : فاقنى حياءك ــ لاأبا لك ــ واعلمى أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل

قال النابغة الذبيانى: يقول رجال ينكرون خليقتى لعل زيادا ــ لاأبا لك ــ غافل

قال زهير : سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا ــ لاأبا لك ــ يسأم

قال أمية بن أبى الصلت :

حيا وميتا ــ لاأبا لك ــ إنما طول الحياة كزاد غاد ينفذ

قال الحادرة : فأثنوا علينا ــ لاأبا لأبيكم ــ بإحساننا إن الثناء هو الخلد

قالت الخنساء :

لقد صوت الناعى بفقد أخى الندى نداء لعمرى ــ لاأبا لك ــ يسمع

قال كعب بن زهير :

فقلت خلوا طريقى — لا أبا لكم — فكل ما قدر الرحمن مفعول

قال لبيد : أولئك فابكى — لا أبا لك — واندبى أبا حازم فى كل يوم مذكر

قال الحطيئة : إن الرزية — لا أبا لك — هالك بين الدماخ وبين دارة خترر

وقال : ما كان ذنب بغيض — لا أبا لكم فى بائس جاء يحدو أنيقا شسبا

وقال : أقلوا عليهم — لا أبا لأبيكم — من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا

وقال : فأبقوا — لا أبا لكم — عليهم فإن ملامة المولى شفاء

وقال : ما كان ذنب بغيض — لا أبا لكم — فى بائس جاء يحدو آخر الناس

وقال : وحق لمن تكنفه نمير وضبة — لا أبا لك — أن يعابا

قال جميل بثينة : وكل غداة — لا أبا لك — تنتحى إلى فتلقانى وأنت مشيح

قال عبيد الله بن قيس :أبن أسماء — لا أبا لك — تعنى إنه غير هالك نفا ع

قال الأخطل :

فقلت اصبحونى — لا أبا لأبيكم — وما وضعوا الأثقال إلا ليفعلوا

قال الراعى النميرى :

دفعت إليه وهو يخنق كلبه ألا كل كلب — لا أبا لك — نابح

قال عمر بن أبى ربيعة :

ولقد قلت — لا أبا لك — دعنى إن حتفى فى أن أزور الرفاقا

قال جرير : ألم يك — لا أبا لك — شتم تيم بنى زيد من الحدث العظيم

وقال : فهل جدع تيم — لا أبا لك — زاجر كنانة أو ناه زهـيرا وتولبـا

وقال : أعبدا حل فى شعبى غريبا ألؤما — لا أبا لك — واغترابـا

وقال : أو تطلبون بتيم — لا أبا لكم — من تبلغ التيم أو تيم له خطر

وقال : يا تيم تيم عدى — لا أبا لكم — لا يوقعنكم فى سوءة عمر

وقال : أتعدل — لا أبا لكم — الخناثى بيربوع تباعد ذاك بينا

قال الفرزدق :

أدرسان قيس — لا أبا لك — تشترى بأ عراض قوم هم بناة المكارم

قال بشار بن برد : مه — لا أبا لك — إننى ريحانة فاشمم بأنفك واسقها بجناب

وقال : فمهلا — لا أبا لك — بعض لومى ضججت من الهوى وأنا العميد

وقال : أعمى يقود بصيرا — لا أبا لكم — قد ضل من كانت العميان تهديه

قال أبو العتاهية :

خذ للمنايا — لا أبا لك — عدة وانظر لنفسك إن أردت صلاحها

وقال : مالى أراك بغير نفسـك — لا أبا لك — تشغل

وقال : يا نفس أين أبى وأين أبو أبى و أبوه عدى — لا أبا لك — واحسبى

وقال : قل لى لمن أصبحت أجمع ما أرى ألبعل عرسك — لا أبا لك — تجمع

وقال : أتطمع أن تخلد — لا أبا لك — أمنت من المنية أن تباك

وقال : ماذا تؤمل — لا أبا لك — فى مال تموت و أنت تمسكه

وقال : فسل الحوادث — لا أبا لك — عنهم وسل القبور وأحفهن سؤالا

وقال : فلا توطن الدنيا محلا فإنما مقامك فيها — لا أبا لك — أياما

وقال : اعلم بأنك — لا أبا لك — فى الذى أصبحت تجمعه لغيرك خازن

وقال : بك ـــ لا أبا لك ـــ مذ خلقت موكلا ملك يعد عليك ما تتنفس
قال أبو تمام : أما وأبيه وهو من ـــ لا أبا له ـــ يعد لقد أمسى مضئ المقاتل
قال أبو فراس : وشدوا رأيهم ببنى قريع فخابوا ـــ لا أبا لهم ـــ وخابا
وقال : أتفخرون عليهم ـــ لا أبا لكم ـــ حتى كأن رسول الله جدكم
قال الشريف الرضى : أقلوا علينا ـــ لا أبا لأبيكم ـــ ولا ترشقونا باللتيا وبالتى
وقال : أقلوا ـــ لا أبا لكم ـــ وخلوا مطاعنة الأسنة بالأشاق
وقال : أضروا ولؤما ـــ لا أبا لأبيكم ـــ سفاها لرأى العاجزين سفاها
قال أبو العلاء المعرى :

ولا أرى باطنه متى ماذقته شرى فماذا ـــ لا أبا لك ـــ تسلب

وقال : واجهت قبرة فخفت تطيرا ما كل ميت ـــ لا أبا لك ـــ يقبر
وقال : سأرحل عن وشك ولست بعالم على أى أمر ـــ لا أبا لك ـــ أقدم
قال ابن زيدون :

أقلوا عليهم ـــ لا أبا لأبيكم ـــ من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا

قال سبط بن التعاويذى :

قل له ـــ لا أبا له ـــ حين تلقاه وحاشاك أن تكون رسولا

وقال : كأنى ميت لا ضريح لجنبه وما كل ميت ـــ لا أبا لك ـــ يضرح

رغم أنف

قال عبيد بن البرص : رغم لأنف أبيك عندى ضائع إنى يهون على ألا يعتبوا

قال جرير : أنا البازى المطل على نمير على رغم الأنوف الراغمات
قال أبو تمام : رغم لأنفى من أن ترى مهتوكا أو أرى لى ما عشت فيك شريكا
قال ديك الجن : وعزيز بين الدلال وبين الملك فارقته على رغم أنفى

رمى الله

قال النابغة الذبيانى :

قعودا لدى أبياتهم يثمدونها رمى الله فى تلك الأنوف الكوانع

قال جميل بثينة :

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى وفى الغر من أنيابها بالقوادح
رمتنى بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلدى فهو فى القلب جارحى

قال الفرزدق : رمى الله فيما بين قيس وبيننا على كل حال بالعداوة والبعد
وقال: رمى الله فى جثمانه مثل مارمى عن القنبلة البيضاء ذات المحارم
قال الشريف الرضى :

رمى الله بى من هذه الأرض غيرها وقطع من هذا الأنام علائقى
فكم فيهم من واعد غير منجز وكم فيهم من قائل غير صادق

وقال : رمى الله دولتكم بالثبات إذا ما رمى غيرها بالزوال
وقال : إلى أين مرمى قصدها وسراها رمى الله من أخفافها بوجاها

لاعد من نفره

قال امرؤ القيس : فهو لاتنمى رميته ماله لاعد من نفره

هوت أمه

قال كعب بن سعد الغنوى :

هو العسل الماذى لينا وسائلا   وليث إذا يلقى العد غضوب
هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا   وماذا يؤدى الليل حين يؤوب
هوت أمه ماذا تضمن قبره   من المجد والمعروف حين يثيب

تبت يداه

قال أبو إسحاق الأبيرى :

من لا يراقب ربه ويخافه   تبت يداه وماله من وال

قاتله الله

قال عنترة : ألا قاتل الله الطلول البواليا وقاتل ذكراك السنين الخواليا
وقال : ألا قاتل الله الهوى كم بسيفه قتيل غرام لايوسد فى اللحد
قال حسان بن ثابت :

ياقاتل الله قوما كان شأنهم قتل الإمام الأمين المسلم الفطن
قال مجنون ليلى : ألا قاتل الله الركائب إنما تفرق بين العاشقين الركائب
وقال : ألا قاتل الله الحمامة غدوة على الغصن ماذا هيجت حين غنت
وقال : ألا قاتل الله اللوى من محلة   وقاتل ذؤبانا بها كيف ولت
وقال : ألا قاتل الله الهوى ما أشده   وأسرعه للمرء وهو جليد
وقال : يا قاتل الله غادات فرعن لنا حب القلوب بما استودعن من حور
قال الأخطل :

يا قاتل الله وصل الغانيات إذا أيقن أنك ممن قد زها الكبر

قال عمر بن أبي ربيعة :

ألا قاتل الله الهوى حيث أخلقا فما إن ترى إلا مشوبا ممزقا

قال الفرزدق : يا قاتل الله ليلا كنت أحرسه لدى الخريبة ما يمضي فينحسر

قال البحتري : قاتل الله قاتلات الغواني بـــالغرام المبنى عـــلى الغى رشده

قال الشريف الرضي :

ألا قاتل الله الذى جاء غازيا فقارعنا عن مخه الساق وانتقى

وقال : يا قاتل الله ريان الشباب وما خلى على من الأشجان والغلل

وقال : يا قاتل الله الغوانى لـــقـــد سقينى الطـــرق بعيـــد الجمام

وقال : تجـــــــرح الأعين فينا والطلى قاتـــل الله الطلى والأعينا

وقال : ألا قاتـــل الله هـــذا الأنـــام وقاتـــــــــــل ظنى وآماليه

قال ابن سهل الأندلسي : يا قاتل الله العيون لأنها حكمت علينا بالهوى والهون

لعن الله

قال عبيد الله بن قيس : لعـــن الله مـــــن نعاك إلينا إذ لقينا هبيرة بن فرات

قال أبوالعتاهية : لعن الإله سواحق الرأس فلقد فضحن حرائر الأنس

أبدين حربا لاطعـــــان بها إلا اتقـــاء الترس بالترس

قال أبو تمام : لعـــــن الله مقلـــة جعل الأمر إليها ففارقت مقلتيكا

بأبي لفظك المليح الذى قد ترك السمع وهو طوع يديكا

أسلوب شلت

قال دريد بن الصمة :

شلت يمينى ولاأشـــرب معتقة إذ أخطأ الموت أسماء بن زنباع

قال جرير : أتجعل يا ابن القين أولاد دارم كشيبان شلت من يديك الأصابع

قال العباس بن الأحنف : وما ساءنى إلا كتاب كتبته فليت يمينى بعد ذلك شلت

وقال : كم عاذل لامنى فيكم فقلت له شلت يمينك هل بالحب من باس

قال الشريف الرضى : إن على أعواده الضرغام تخرج من هيبته السلامى

تعنو الملوك حوله إعظاما تستكثر اليوم له القياما

أسد تراها عنده بهاما شلت يد الجاذب ماذا راما

قال سبط بن التعاويذى : تيـــم غـــير تيم خشنت مديته وهو ناعم الكفين

بيد كالحرير لايرفع الأوساخ تدليكها عن المنكبين

ويد كرها يغادر فى الناس كلوما شلت إذا من يدين

أسلوب ترب

قال سلمى بن ربيعة : حلت تماضر غربة فاحتلت فلجا وأهلك باللوى فالحلة

وكأن فى العينين حب قرنفل أو سنبلا كحلت به فانهلت

زعمت تماضر أننى إما أمت يسدد أبينوها الأصـــاغر خلتى

تربت يداك وهل رأيت لقومه مثلى على يسرى وحين تعلتى

رجـــلا إذا ماالنائبات غشينه أكفى لمعضـــلة وإن هى جلت

ماجاء من هذه الأساليب في السنة المطهرة

ورد فى السنة المطهرة بعض من هذه الأساليب ، ولايعنينى هنا استقراء كل أساليب الدعاء ، وإنما يعنينى ما جاء منها على خلاف الظاهر ، وقد استقريت هذه الأساليب من كتب السنة المطهرة الصحاح وسواها ، وكذلك الروايات المتعددة للحديث الواحد مستعينا بالمعجم المفهرس ، وموسوعة أطراف الحديث ، والحاسب الآلى ، وكانت نتيجة الاستقراء جمع الأساليب الآتى ذكرها :

١ ــ أسلوب : قاتله الله .

٢ ــ أسلوب: رغم أنف ، وأرغم الله أنفه .

٣ ــ أسلوب: تربت يداك ، وتربت يمينك ، وترب جبينه .

٤ ــ أسلوب : قطع الله رحمه ، وقطع الله يدك .

٥ ــ أسلوب : أبعدك الله .

٦ ــ أسلوب : ثكلتك أمك ، وثكلته أمه ، وثكلتكم أمهاتكم ، وثكلتك الثواكل .

دواعي عد هذه الأساليب مما جاء على خلاف الظاهر

أولا : أن هذه الأساليب وردت على لسان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مخاطبا بها الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ أو على لسان أحد الصحابة مخاطبا غيره ، أو مخاطبا نفسه .

ثانيا : عد هذه الأساليب دعاء حقيقيا مع ما ذكرته من حال المتكلم والمخاطب مخالف لما صح عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من حديث طويل قال فيه " لاتدعوا على أنفسكم إلا بخير ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون "[١]

ومارواه الإمام مسلم وغيره من حديث طويل " لاتدعوا على أنفسكم ، ولاتدعوا على أولادكم ، ولاتدعوا على أموالكم ، لاتوافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم "[٢] ،

ومنه مارواه النسائي " لاتدعوا بالموت ولاتتمنوه "[٣] ومنه ماروى عن أبي هريرة أيضا أنه قال : " قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه ، ولاتقل : قبح الله وجهك . . . "[٤]

---

[١] رواه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز حديث رقم (١٥٢٨) وأبو داود في سننه كتاب الجنائز حديث رقم (٢٧١١) وأحمد في مسنده كتاب باقي مسند الأنصار حديث رقم (٢٥٣٣٢) .

[٢] رواه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق حديث رقم (٥٣٢٨) وأبو داود في سننه كتاب الصلاة حديث رقم (١٣٠٩) .

[٣] رواه النسائي كتاب الجنائز حديث رقم (١٧٩٩) .

[٤] رواه الإمام أحمد في مسنده كتاب باقي مسند المكثرين حديث رقم (٧١١٣) ورقم (٩٢٣١) .

ومنه ماروى عن عائشة ـــ رضى الله عنها ـــ أن النبى ـــ صلى الله عليـــه وسلم ـــ قال : لايقولن أحدكم خبثت نفسى ، ولكن ليقل لقست نفسى "([١])

ومنه ماروى عن أبي هريرة ـــ رضى الله عنه ـــ أنه قال : أتـــى النـــبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ برجل قد شرب ، قال : اضربوه ، قال أبو هريـــرة : فمنا الضارب بيده والضارب بنعله ، والضارب بثوبه ، فلما انصرف قال بعـض القوم : أخزاك الله ، قال : لاتقولوا هكذا ، لاتعينوا عليه الشيطان "([٢])

وعن أنس بن مالك ـــ رضى الله عنه ـــ أنه قال : " لم يكن النبى ـــ صلـــى الله عليه وسلم ـــ سبابا ولافحاشا ولالعانا كان يقول لأحدنا عند المعتبة مالـــه ترب جبينه "([٣]) وعن حذيفة ـــ رضى الله عنه ـــ أنه قال : لقـــد علمـــت أن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ خطب فقال : أيما رجل من أمتى ســـببته سبة أو لعنته لعنة فى غضبى ، فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون ، وإنمـــا بعثنى رحمة للعالمين ، فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة "([٤])

([١]) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأدب حديث رقم (٥٧١١) ومسلم فى صحيحه كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها حديث رقم (٤١٨٠) وأبو داود فى سننه كتاب الأدب حديث رقم (٤٣٢٦) وأحمد فى مسنده كتاب باقى مسند الأنصار حديث رقم (٢٣١١٠) .

([٢]) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الحدود حديث رقم (٦٢٧٩) وأبو داود فى سننه كتاب الحدود حديث رقم (٣٨٨٢) ومسند أحمد كتاب باقى مسند المكثرين حديث رقم (٧٦٤٥) .

([٣]) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأدب حديث رقم (٥٥٧١) ومسند أحمد كتاب باقى مسند المكثرين حديث رقم (١١٨٢٦) .

([٤]) رواه أبو داود فى سننه كتاب السنة حديث رقم (٤٠٤٠) ومسند أحمد كتاب باقى مسند الأنصار حديث رقم (٢٢٥٩٣) .

وما روى من أبا الدرداء سمع رسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يقـول: إن اللعانين لايكونون يوم القيامة شهداء ولاشفعاء "[1]

ومنه ماروى عن عمر بن الخطاب ـــ رضى الله عنه ـــ أن رجلا على عـهد النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كان اسمه عبد الملك وكان يلقب حمارا ، وكان يضحك رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وكان النبى ـــ صلى الله عليـه وسلم ـــ قد جلده فى الشراب ، فأتى به يوما فأمر به فجلد ، فقال رجل مـن القوم : اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبى : ـــ صلى الله عليه وسـلم ـــ لاتلعنوه ، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله "[2]

ومنه ماروى عن أبى برزة أنه قال : قال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسـلم ـــ من عزى ثكلى كسى بردا فى الجنة "[3] أيعقل أن يقول الرسول ـــ صلـى الله عليه وسلم ـــ كل هذا ثم نحمل ما ورد من ذلك علـى الحقيقـة ، فقـد تضافرت هذه الأحاديث على وجوب حمل ما جاء من هذه الصيغ على المجـاز شريطة أن يكون المخاطب مسلما والمتكلم مسلما ، وما نورده إما أن يكـون خطابا من الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لأحد الصحابة ، أو خطابا مـن صحابى لصحابى ، وسنجد أن السياقات المقامية والمقالية تعين علـى ذلـك ، والفقه البلاغى لهذه الأساليب هو الذى يسبر غور هذه الأساليب للتعرف علـى المقاصد الكامنة وراء سوق مثل هذا الأسلوب ، فوق أن هذا الأسلوب جـاء

---

[1] رواه أحمد فى مسنده حديث رقم (٢٦٢٥٣) .

[2] رواه البخارى فى صحيحه كتاب الحدود حديث رقم (٦٢٨٢) .

[3] رواه الترمذى فى سننه كتاب الجنائز حديث رقم (٩٦٦) .

على سنن العرب فى كلامها ، وهى فى سياقات تحتم تخريجها على خلاف الظاهر ، وقد أوردت فيما مضى أقوالهم التى دلت على ذلك ، وقد جاء القرآن الكريم على سنن العرب فى كلامها ، وكذلك بيانه — صلى الله عليه وسلم — فاقتضى هذا فهم الكلام على ما كانت تفهمه العرب .

الفصل الأول
أسلوب ثكل في الحديث الشريف

توطئة :ثكل في اللغة

الثكل في اللغة الموت والهلاك ، والثكل والثكـل بـالتحريك : فقـدان الحبيب ، وأكثر ما يستعمل في فقدان المرأة زوجها ، وفي المحكم : أكـثر مـا يستعمل في فقدان المرأة والرجل ولدهما ، وفي الصحاح فقدان المرأة ولدهـا ، والثكول بفتح الثاء : التي ثكلت ولدها ، وقد ثكلته أمه ، ثكلا وثكلا ، وهـي ثكول وثكلى وثاكل ، وحكى اللحياني : لاتفعل ذلك ثكلتك الثكول ، قـال ابن سيده : أراه يعني بذلك الأم ، والثكول : المرأة الفاقد ، وقالوا : ثكلته أمـه دعاء عليه بالهلاك ، وأثكلت المرأة : لزمها الثكـل ، وأثكلـها الله : أفقدهـا ولدها"([1])

وفي الحديث عن أبي برزة قال : قال رسول الله : ـ صلى الله عليه وسـلم ـ " من عزى ثكلى كسي بردا في الجنة "([2]) وهذا يؤيد ما رآه الجوهري من أنـه أكثر ما يستعمل في فقدان المرأة ولدها ، وقد ذهب ابن الأثـير أيضـا إلى أن الثكل فقد الولد ([3])

([1]) اللسان والقاموس ومقاييس اللغة والوسيط مادة (ث ك ل) .

([2]) رواه الترمذي في سننه كتاب الجنائز حديث رقم (٩٩٦) .

([3]) النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ٢١٧ .

وقد أفاد كلام الزمخشرى فى الأساس أن المراد بالثكل فقدان الأم ولدهـا، " ثكلتك الثواكل ، وهى ثاكل بولدها وثكلى وهن ثكالى ، وأثكلها الله ولدهـا ، ونساء مثاكل وامرأة مثكال : كثيرة الثكل "[1]

ولم ترد مادة ثكل فى القرآن الكريم ، وإنما وردت فى السنة المطـهرة ، وفى شعر العرب ونثرهم .

---

[1] أساس البلاغة مادة (ث ك ل) .

أسلوب ثكل فى كلامه ــ صلى الله عليه وسلم

أولا : الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخاطب معاذا ــ رضى الله عنه ــ بهذا الأسلوب .

عن معاذ بن جبل ــ رضى الله عنه ــ قال : كنت مع النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى سفر ، فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير ، فقلت : يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ، ويباعدنى عن النار ، قال : لقد سألتنى عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولاتشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ، ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل ، قال : ثم تلا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) حتى بلغ (يعملون) ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده ذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يانبى الله ، فأخذ بلسانه ، قال : كف عليك هذا ، فقلت : يا نبى الله و إنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس فى النار على من وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم "[1]

---

[1] رواه الترمذى فى سننه كتاب الإيمان عن رسول الله حديث رقم (٢٥٤١) وهذا اللفظ له ، ورواه ابن ماجه فى سننه كتاب الفتن حديث رقم (٣٩٦٣) والإمام أحمد فى مسنده كتاب باقى مسند الأنصار حديث رقم (٢١٠٠٨) ومجمع الزوائد للهيثمى ١٠ / ٣٠٠ وكنز العمال حديث رقم (٣٨٩٢) والدر المنثور

٢ / ٢٢١ ، ٣٣٧ ، ٥ / ١٧ ، ١٧٥ .

وفى إحدى روايات الإمام أحمد " قال : ثكلتك أمك ، وهل يكب النـــاس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم "([١]) وفى رواية أخرى له " أولا أدلك علـــى أملك ذلك لك كله ، قال : فأقبل نفر ، قال : فخشيت أن يشغلوا عنى رسـول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قال شعبة : أو كلمة نحوها ، قـــال : فقلـــت : يارسول الله : قولك : أو لا أدلك على أملك ذلك لك كله ، قـــال : فأشـــار رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بيده إلى لسانه ، قال : قلت : يارســـول الله وإنا لنؤاخذ بما نتكلم به ، قال : ثكلتك أمك معاذ ، وهل يكب الناس علـى مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم "([٢])

قوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ " ثكلتك أمك يا معاذ " " ثكلتك أمـــك معاذ " المقصود به ـــ فيما أبصر ـــ الإنكار التعجبى ، وكأن أساليب الإنكـــار والتعجب المعتادة لاتلائم الموقف ، ولا تناسب الحال ، فلـــم لم يقـــل مثـــلا : ماأغرب سؤالك يا معاذ ؟ أو سؤال عجيب يامعاذ ، وإنما جاء بأسلوب له مـــن الطاقات التعبيرية والإيحاءات ماليس لأسلوب آخر فى موقف كهذا ، وأســـلوب ثكلتك أمك أسلوب وثاب من واد إلى واد إلى واد ، فلو تتبعنا مراحـــل هـــذا الأسلوب لوجدناها على هذا النحو .

أصل الأسلوب : اللهم أثكله أمه .

إيراده فى صورة الخبر : ثكلتك أمك ، وهو بهذه الصورة مجاز .

إنكار تعجبى : ثكلتك أمك وهو بهذه الهيئة مجـــاز ، ، فالأســـلوب الـــوارد فى الحديث ذروة ثلاثة أحوال شعورية ، كلها ناتجة عن صدور أفعال وأقوال مـــن

([١]) مسند أحمد كتاب مسند الأنصار حديث رقم (٢١٠٥١) .

([٢]) مسند أحمد كتاب مسند الأنصار حديث رقم (٢١٠٥٤) ومصنف ابن أبى شيبة ٩ / ٦٥ .

مخاطب يستوجب غضب المتكلم عليه ، وهى حالة انفعالية تقتضى سلوكا من المتكلم ظهر فى صورة الدعاء عليه فى الصورتين الأوليين ، غير أن لكل صورة مرتبة فى التعبير عن هذه الحالة الشعورية تناسب درجة الانفعال ، فالمخاطب بالصورة الأولى فعله أو قوله أقل من المخاطب بالصورة الثانية ، لأن الصورة الثانية فيها إظهار للحرص على وقوع المطلوب ، بحيث صار المطلوب بمثابة الشئ يخبر عنه ، أما الصورة الثالثة فهى تصور حالة شعورية أخرى ، وهى حالة الإنكار التعجبى ، وذلك أن المخاطب ارتكب فعلا أو قولا جاوز الحد المعتاد فى الإنكار عليه و التعجب منه ، فاقتضى ذلك التجاوز التعبير بأسلوب غير معتاد أيضا ، وفى الصور الثلاثة الكل صادر عن الانفعال بدرجة متفاوتة ، يمكن أن نجمعها تحت قول واحد : هو ظهور فعل أو قول لاينبغى أن يظهر .

أثر السياق فى اصطفاء هذا الأسلوب

حين ننظر فى سياق هذا الأسلوب أو بالأحرى فى السياق الذى أنتج هذا الأسلوب ، نرى أن سبب وروده سؤال من معاذ ـــ رضى الله عنه ـــ " يارسول الله : أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار " هو يسأل عن مفاتيح الجنة ومغاليق النار ، وقد اتخذ الجواب ثلاثة اتجاهات كلها فى النهاية تصب فى اتجاه واحد ، هذه الاتجاهات تبصرها فى الرواية (ثم قال . . . ثم قال . . .) بعد القول الأول .

الاتجاه الأول : التوحيد + إقامة الصلاة + إيتاء الزكاة + صوم رمضان + حج البيت ، وسنعرف بعد ذلك أن اللسان أمين على كل هذه الأركان ، فالرياء من مبطلات هذه الأركان ، وأداته اللسان أو ما يقوم مقامه .

الاتجاه الثانى : أبواب الخير وكل باب فيها معقود بمهمة : الصوم جنة + الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار + قيام الليل ، واللسان أيضا أمين على كل هذا كما سيأتى فى سياق الحديث .

الاتجاه الثالث : منازل بعض العبادات من الدين : الإسلام رأس الأمر + الصلاة عمود الأمر + الجهاد ذروة سنام الأمر ، واللسان ضامن لذلك كله ، فالاتجاهات كلها معقودة باللسان كما ترى فى تراكيب الحديث .

وبعد كل هذا جاءت جملة وضحت زمام كل ما سبق ومحل قياده (ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟) وفى رواية لأحمد (أولا أدلك على أملك ذلك لك كله) وملاك الأمر : قوامه وما يملك به وخلاصته وعنصره وجوهره ، وترى وراء اسم الإشارة تعظيما لما مضى ، وإلماعا للمحافظة عليه والاستمساك به ، وقد أتبع اسم الإشارة بأسلوب توكيد معنوى لدفع توهم أنه قد يقصد بعض المشار إليه ، وفى كل هذا البناء البديع على كل الروايات تنبيه على خطو ما يجاب به ، ، ووضع لكل ما مضى فى قبضة يده ، فالذى يجاب به هو المالك زمام كل ما مضى ، وذلك تمهيد للجواب وتشويق إليه ما بعده تشويق ، ثم انظر بعد ذلك إلى التركيب الذى جاء الجواب على هيئته (فأخذ بلسانه قال : كف عليك هذا) تأمل هذا التعبير (فأخذ بلسانه) وكان يكفى فى مقام غير هذا أن يقول عليك لسانك ، غير أنه لو قال هذا ما توافق مع تراكيب الحديث الشريف ، ولا الجملة التى جاءت معقدا للكلام اللاحق على الكلام السابق ، ألا تبصر وراء أخذه ــ صلى الله عليه وسلم ــ باللسان زيادة تهويل لخطر اللسان ، وقد أوحى التركيب أن الخطر الذى تعدى أثر الآلة إلى الآلة نفسها ، كما أن فيه دلالة حسية على مكمن الخطر ، ومسكن العدو ، لذا جاءت الجملة

الشريفة بعده (كف عليك هذا) ماذا تبصر أنت فى قوله الشريف ــ فــداه أبى وأمى ــ ألا تبصر اللسان عدوا شديد الخطر عظيم القهر قوى البطـــش ، وأى عدو أضرى عداوة ممن سكن جوارحك ؟ بل كان رسولها إلى الناس فى التعبير ، انزع هذا الفعل (كف) ثم قل : عليك هذا ، وانظر كيف انطفأ نــور المعــنى عندك ، وكيف بعدت الهوة فى سياق الكلام ، وبناء لغة الحديث التى تدل بــلا ريب على أن سياق الحديث كله يشبه أن يكون كشفا عن خطر اللســـان ، ثم تأمل قوله (عليك) وكان حق الكلام : كف عنك هذا موافقة للفعل كـــف ، غير أن لعلى هنا موقعا لطيفا ، وتبصر ذلك حين تتأمل التراكيب ، فلو قـــال : كف عنك هذا ؟ لكان المقصود إبعاد خطره فحسب ، وهذا لايتناسب وسـياق الحديث الذى عقد مفاتيح الجنة ومغاليق النار باللسان ، فلو جاء بــ (عنــك) بدلا من عليك لكان ذلك موفيا بحق الشطر الثانى من السؤال ، أى حين تبعــد خطر اللسان تغلق أبواب النار عنك ، أما مجئ عليك فيوحى بمعـــنى لطيــف ، ويناسب سياق الحديث ، فلا يكفى أن تبعد خطر اللسان بل الواجب أن تحيلــه أداة لإعلائك درجات فى الجنة ، وحين تراه يمتد لغيرك اقلبه عليك يتناول عيب نفسك ، ويبصرك أخطاءها .

وكذلك ترى لطيفة وراء التعبير باسم الإشارة (هذا) هى التنبيه الحســى على مكمن الخطر والترهيب منه وفى هذا قال صاحب تحفة الأحوذى : وإيــراد اسم الإشارة لمزيد التعيين أو للتحقير .

هذا سياق حدثتك عنه إجمالا ، ونبهت على بعض من لطائف بنائه ، أيليـــق بعد سياق كهذا أن يسأل عن خطر اللسان ، وقد جعل الدين كله بملك يــده ، بل قد جاء سيدنا معاذ بمؤكدات متعددة فى سؤاله (وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به)

ألا تبصر معى أن ذلك يدعو إلى عجب ما بعده عجب ، ألاتنكر عليه سؤاله إنكارا شديدا ؟ أيليق بعد كل هذا السياق البديع أن ينكر عليه ـ رضى الله عنه ـ بأسلوب معتاد ، ، أو يتعجب منه بأسلوب معتاد ، إن هذا الأسلوب وحده ، هو أسلوب فوق العادة يناسب سؤالا فوق العادة ، هو الأليق بوشائج هذه التراكيب والأنسب محلا وبناء مع هذا السياق ، وقد أعقب الأسلوب بجملة أخرى تعاون فى الإنكار التعجبى (وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم) والاستفهام للنفى ، وترى لكلمة الوجوه موقعا بديعا فى الدلالة على الإهانة والذلة ، كذلك ترى التركيب جاء بأقوى أدوات القصر حيث وقع قوله : (حصائد ألسنتهم) مقصورا عليه ، وتبصر فى قوله (حصائد) تناسبا مع سياق الحديث ، وتنبيها بالمفهوم أن تحسن حصائد اللسان حتى تدخل الجنة ، إذ تبصر بهذه اللفظة اللسان يبذر الحب فى حياة الإنسان ، وهذه البذور منها ما ينتج شوكا، ومنها ما ينتج ثمرا طيبا ، فقد شبه ما يتكلم به الإنسان بالزرع المحصود .

ومما يساعد على الإنكار التعجبى أسلوب النداء (يا معاذ ـ أو معاذ) بعد كاف الخطاب فى (ثكل) وما فى ذلك من مجابهة بالإنكار والتعجب ردعا له عما سأل ، ولايمنع السياق أن يكون المقصود من سوق الأسلوب (ثكلتك أمك يا معاذ) الزجر أيضا ، وقد ذكر السندى أن المقصود بالأسلوب التعجب من الغفلة ، وقد قال صاحب تحفة الأحوذى : إن ثكلتك دعاء عليه بالموت على ظاهره ، ولايراد وقوعه ، بل هو تأديب وتنبيه من الغفلة وتعجيب وتعظيم للأمر ، وأزعم أن ما ذكرته من إفادة الأسلوب الإنكار التعجبى جامع لكل هذا.

ثانيا : الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخاطب سعد بن مالك ــ رضى الله عنه ــ بهذا الأسلوب

" عن سعد بن مالك ــ رضى الله عنه ــ قال : قلت : يارسول الله الرجل يكون حامية القوم ، أيكون سهمه وسهم غيره سواء ؟ قال : **ثكلتك أمك ياابن أم سعد ، وهل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم** "(١)

قبل الحديث عن دلالة الأسلوب نورد كلام العلماء فى تقسيم الغنائم بإيجاز ، معلوم أن الإمام يأخذ خمس الغنائم ، ويقسم باقى الغنائم فى القائمين ، وقد اتفق الفقهاء على أن الأسهام تستحق بشهود الوقيعة قاتل الشاهد أم لم يقاتل ، ولم ترد ميزات لمن شهد المعارك والغزوات عدا ماذكره الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من التمييز بين سهم الفارس وسهم الراجل ، ومذهب الجمهور على أن الفارس له ثلاثة أسهم ، سهم له وسهمان لفرسه ، والراجل له سهم واحد ، وحجة الجمهور فى ذلك ما روى عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أنه " أسهم يوم خيبر للفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان وللرجل سهم"(٢)

غير أن الإمام أبا حنيفة ذهب إلى أن للفارس سهمين ، والسبب فى الاختلاف راجع لاختلاف الآثار ومعارضة القياس ، وأبو حنيفة يستند إلى ما روى عن مجمع بن حارثة الأنصارى من أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أسهم

---

(١) مسند أحمد كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة حديث رقم (١٤١١) ومصنف عبد الرزاق حديث رقم (٩٦٩١) وكنز العمال حديث رقم (٦٠٥١) .

(٢) الحديث رواه أبو داود فى سننه كتاب الجهاد حديث رقم (٢٣٥٧) وابن ماجة فى سننه كتاب الجهاد حديث رقم (٢٨٤٥) ومسند أحمد كتاب مسند المكثرين من الصحابة حديث رقم (٤٢١٦) وسنن الدارمى كتاب السير حديث رقم (٢٣٦٢) .

للفارس سهمين ، وعضد أبو حنيفة رأيه بالقياس ؛ بناء على أنه لايكون سهم الفرس أكبر من سهم الإنسان ، ورد الجمهور هذا القياس وهو عندهم ليس بشئ ، لأن سهم الفرس إنما استحقه الإنسان الذى هو الفارس بالفرس ، وغير بعيد أن يكون تأثير الفارس بالفرس فى الحرب ثلاثة أضعاف تأثير الراجل" ([1]) هذا هو التمييز الوارد فى تقسيم الغنائم عند الفقهاء ، ولا يذكرون غيره فى كتبهم .

فى ضوء ما ذكر يتبين لنا أن وراء سؤال سعد — رضى الله عنه — اعتراضا على طريقة التوزيع تلك حيث نظر إلى أمور أخرى فى القتال ، فهو يرى أن يكون هناك فرق بين أهل الميمنة وأهل الميسرة والمقدمة والمؤخرة والحراسة وغير ذلك ، وكل هذا يظهر فى بناء لغة السؤال : يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم ، أيكون سهمه وسهم غيره سواء ؟ تأمل القيد (يكون حامية القوم) وحامية القوم هو الذى يحمى أصحابه فى الحرب ، أو هو آخر من يحمى القوم فى انهزامهم ، تأمل قوله :حامية القوم ، وكيف أبرز التركيب الميل إلى إثبات استحقاقه الميزة ، وكأن السؤال : كيف يتساوى الحامى بالمحمى فى العطاء ؟ أو كيف يتساوى القوى بالضعيف فى العطاء ؟ وكأنه — رضى الله عنه — ظن أن العطاء مبنى على بذل الجهد .

السؤال بهذه الهيئة كاشف عن حال السائل وتعجبه من القسمة ، وذاك الحال داع إلى الزجر ، غير أن وسيلة الزجر المعتادة كأن يقال له : اسكت لاتناسب هذا الحال ، فجئ بهذا الأسلوب إمعانا فى زجره وإسكاتا له ، ويمكن

([1]) ينظر فى هذا الموضوع المغنى لابن قدامة ١٠ / ٤٤٦ ، كفاية الأخيار فى حل غاية الاختصار ٢ /٢١١ ،٢١٢ وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبى ١ / ونيل الأوطار للشوكانى ٨ /

أن يكون المقصود معاتبته — رضى الله عنه — على ما أراد واعتقد ، والجامع بين المعاتبة والدعاء هو المشابهة فى الدافع إلى كل ، وقل مثل ذلك فى الزجر ، وإنما جئ بمثل هذا الأسلوب فى المعاتبة بيانا لزيادة غضبه — صلى الله عليه وسلم — مما حدث من سعد — رضى الله عنه — وهذا الأسلوب هو الأنسب للكشف عن هذه الحالة الشعورية وتجسيدها ، وربما كان إظهار غضبه — صلى الله عليه وسلم — من فعل أو قول ما دافعا القائل أو الفاعل إلى سرعة الإقلاع عما قيل أو فعل .

ولعل مما يؤيد أن الأسلوب للمعاتبة الزاجرة التى جاءت عقب الأسلوب (وهل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم) بأسلوب القصر الذى جاء بسبب الرزق والنصر مقصورا عليه (بضعفائكم) بيانا لخطئه — رضى الله عنه — فى الاعتقاد بأن قسمة الغنائم ينبغى أن تكون مناسبة للجهد المبذول ، وهذا الأسلوب ينتزع منه هذا الاعتقاد انتزاعا قويا تناسبا مع رسوخه فى نفسه ، ومن البديع أنه قدم ما كان الشك فيه وهو الغنائم (ترزقون) وأخر النصر الذى ينتج الغنائم ، والذى يكون الأقوياء سببا فيه ، وكل هذا يناسب أسلوب المعاتبة الزاجر له — رضى الله عنه — لأن كل هذا البناء مما يكشف عن استعظامه الغاضب — صلى الله عليه وسلم — لما صدر من سعد — رضى الله عنه — وكل هذا مما يزيد من أمر المعاتبة الزاجرة .

ثالثا :الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخاطب أبا ذر ــ رضى الله عنه ــ بهذا الأسلوب .

عن أبي ذر ــ رضى الله عنه ــ أنه قال : " اجتمعت غنيمة عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : يا أبا ذر ابد فيها ، فبدوت إلى الربذة ، فكانت تصيبنى الجنابة ، فأمكث الخمس والست ، فأتيت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال أبو ذر : فسكت ، فقال : ثكلتك أمك أبا ذر لأمك الويل ، فدعا لى بجارية سوداء ، فجاءت بعس فيه ماء فسترنى بثوب ، واستترت بالراحلة واغتسلت ، فكأنى ألقيت عنى جبلا ، فقال : الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين ، فإذا وجدت الماء فأمسه جلدك فإن ذلك خير "[1]

قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ " ثكلتك أمك أبا ذر لأمك الويل " الظاهر ــ والله أعلم ــ أن الأسلوب هنا خرج من الدعاء إلى المعاتبة تنديما له ــ رضى الله عنه ــ على ما بدر منه من ترك نفسه جنبا خمسا أو ستا ، وما يترتب على ذلك من ترك الصلوات وسواها من العبادات التى تحتاج إلى الطهارة ، وهذا الأمر الذى بدر منه لايكفى فيه المعاتبة بأسلوب معتاد لمثل هذا المعنى .

وإنما جئ بهذا الأسلوب تصويرا للحالة الشعورية له ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد تملكه العجب مما سمع ، وغضب لترك أمر ربه غضبا شديدا ، غير أنه هو الهين اللين ، فجاء بهذا الأسلوب على لسانه الشريف رحمة ورفقا فى

---

[1] سنن أبي داود كتاب الطهارة حديث رقم (٢٨١) والسنن الكبرى للبيهقى ١ / ٢٢٠ وكنز العمال حديث رقم (٢٧٥٦٨) ومجمع الزوائد للهيثمى ١ / ٢٠٠ والدر المنثور للسيوطى ٢ / ٢٩٧ وتفسير ابن كثير ٣ / ١٤٠ .

النهى عن المخالفة الشرعية المبنية على الجهل بـالحكم ، وقـد ناسـب هـذا الأسلوب حال أبى ذر الذى أخجله أن يجيب النبى ـ صلى الله عليه وسـلم ـ وهو على جنابة ، ومن تمام المعاتبة ورفع الحرج أن أمر رسول الله ـ صلـى الله عليه وسلم ـ بما يزيل الحرج عن أبى ذر (فدعا لى بجارية سوداء) وكل هـذا مما يرشح أن الأسلوب خرج إلى المعاتبة ، وهو أسلوب كاشف عن حال المتكلم ، ومناسب حال المخاطب .

رابعا : الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخاطب زياد بن لبيد ـ رضى الله عنه ـ بهذا الأسلوب

للحديث الذى نورده هنا روايات متعددة ، يمكن أن نجمعها تحـت ثـلاث صور ، صورة جاء فيها الأسلوب على لسان الرسول ـ صلى الله عليه وسـلم ـ مخاطبا به زياد بن لبيد ـ رضى الله عنه ـ وأكثر الروايات على هذا النحـو ، وصورة ثانية جاء الأسلوب فيها على لسان الرسول ـ صلى الله عليه وسـلم ـ مخاطبا به أعرابيا ، وصورة ثالثة جاءت فى رواية واحـدة للدارمـى جـاء الأسلوب على لسان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مخاطبا به جمعـا مـن الصحابة .

أ ـ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخاطب زيادا بهذا الأسلوب .

عن زياد بن لبيد ـ رضى الله عنه ـ قال : ذكر النبى ـ صلى الله عليـه وسلم ـ شيئا فقال : ذاك عند أوان ذهاب العلـم ، قلـت : يارسـول الله ، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ، ونقرئه أبناءنا ، ويقرئه أبناؤنا أبنـاءهم إلى يوم القيامة ؟ قال : ثكلتك أمك زياد إن كنت لأراك من أفقه رجل المدينة ،

أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لايعملون بشـــئ ممـــا فيهما "([1]) وفى رواية للإمام أحمد " ثكلتك أمك ياابن أم لبيد إن كنـــت لأراك من أفقه رجل بالمدينة "([2]) وفى رواية أخرى له " ثكلتك أمك ابن لبيد ما كنـت أحسبك إلا من أعقل أهل المدينة "([3]) وفى رواية الترمذى " ثكلتك أمـك يـا زياد إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة "([4])

ب ـــ الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يخـــاطب أعرابيـــا بهـــذا الأسلوب .

عن أبى أمامة الباهلى قال : لما كان فى حجة الوداع قام رسول الله ـــ صلـى الله عليه وسلم ـــ وهو يومئذ مردف الفضل بن عباس على جمل آدم فقال : يـا أيها الناس خذوا من العلم قبل أن يقبض العلم ، وقبل أن يرفع العلـــم ، وقـــد كان أنزل الله ـــ عز وجل ـــ (يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تبـــد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفـــا الله عنـــها والله غفور حليم) قال : فكنا قد كرهنا كثيرا من مسألته واتقينا ذلك حين أنـزل الله على نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قال : فأتينا أعرابيا فرشوناه برداء ، قـال : فاعتم به حتى رأيت حاشية البردة خارجة من حاجبه الأيمن ، قال : ثم قلنا لـــه سل النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قال : فقال له يانبى الله كيف يرفع العلـــم منا وبين أظهرنا المصاحف ، وقد تعلمنا ما فيها وعلمنا نساءنا وذرارينا وخدمنـا

([1]) سنن ابن ما جة كتاب الفتن حديث رقم (٤٠٣٨) .

([2]) مسند أحمد كتاب مسند الشاميين حديث رقم (١٦٨٢٨) ورقم (١٧٢٤١) .

([3]) مسند أحمد كتاب مسند الشاميين حديث رقم (١٧٢٤٢) .

([4]) سنن الترمذى كتاب العلم عن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٢٥٧٧) وسنن الدارمى المقدمة حديث رقم (٢٩٠) .

، قال : فرفع النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ رأسه وقد علت وجهه حمرة من الغضب ، قال : فقال : أى ثكلتك أمك هذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف لم يصبحوا يتعلقوا بحرف مما جاءهم به أنبياؤهم ألا وإن من ذهاب العلم أن يذهب حملته ثلاث مرار "[١]

جـ ــ الرسول ــ صلى الله عليه ــ يخاطب جمعا من الصحابة بهذا الأسلوب .

عن أبي أمامة عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : خذوا العلم قبل أن يذهب قالوا : وكيف يذهب العلم يا نبى الله ، وفينا كتاب الله ؟ قال : فغضب غضبا لايغضبه إلا لله ، ثم قال : ثكلتكم أمهاتكم أولم تكن التوراة والإنجيل فى بنى إسرائيل ، فلم يغنيا عنهم شيئا إن ذهاب العلم أن يذهب حملته ، إن ذهاب العلم أن يذهب حملته "[٢]

قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ " ثكلتك أمك " فى هذه السياقات ، الظاهر ــ والله أعلم ــ أن هذا الأسلوب خرج من الدعاء إلى الاستعظام ، فقد استعظم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما صدر من السائل لبيد أو غيره ، وقرينة السياق المقالية قاضية بهذا ، وهذا واضح فيما جاء عقب الأسلوب مباشرة فى كل الروايات (هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغنى عنهم) أو ما قارب ذلك من التراكيب وقد كشف هذا الأسلوب حالة خيبة الأمل التى أحسها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والتى وضحتها الجملة التى جاءت عقب الأسلوب ، وقد جاءت بمؤكدات متعددة (إن واللام)

---

[١] مسند أحمد كتاب باقى مسند الأنصار حديث رقم (٢١٢٥٩) .

[٢] سنن الدارمى المقدمة حديث رقم (٢٤٢) والمعجم الكبير للطبرانى ٨ / ٢٧٦ .

وغير ذلك ، وهذا مما يصور مقدار أمل الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى زياد ــ رضى الله عنه ، ومما ضاعف من حزنه وزاد من غضبه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قد غاب عن زياد وغيره حال اليهود والنصارى ، ثم تأمل قوله لزياد (فقهاء أهل المدينة) (أفقه رجل بالمدينة) (من أعقل أهل المدينة) ، فإذا ما كان مثل هذا القياس غائبا على من وصفه الرسول ــ صلى الله عليه ــ بهذه الأوصاف ، وكأن هذا مؤشر دال على قلة العلم .

وقد كشف الأسلوب عما اعتراه ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الهم مما سمع ، وكان أنسب الأساليب لمجابهة زياد باستعظامه ما صدر منه ، وقد جاء الأسلوب ملائما المقام أحسن ما تكون الملاءمة ، فلقد أورد الصحابى الجليل زياد سؤالا يحمل قدرا كبيرا من الاستغراب لمقالته ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين قال : هذا أوان يختلس العلم من الناس .

تأمل الاستفهام الذى ورد على لسانه ــ رضى الله عنه ــ " كيف يختلس العلم منا وقد قرأنا القرآن ، فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا " والواضح أن الاستفهام هنا للاستبعاد ، ولم يكفه الاستبعاد بالاستفهام ، بل أورد حججا أخرى (وقد قرأنا القرآن) (فوالله لنقرأنه ولنقرئنه . . .) فقد استبعد أن يذهب العلم آنا أو مستقبلا إذ أقسم باصطناع وسائل لعدم حدوث ذلك ، والحيلولة دون وقوعه ، وهو قراءة القرآن وإقراؤه الأبناء والنساء .

أعتقد أنه لو لم يكن هذا القدر من استبعاد زياد لذهاب العلم ما جاء الأسلوب الشريف على النحو الذى معنا ، وإنما كان استبعاده ــ رضى الله عنه ــ فوق العادة ، فاستعظم ما صدر منه بأسلوب فوق العادة ، وما أحاط

بالأسلوب من بين يديه ومن خلفه يعين على أن المراد من سـوق الأسلوب الاستعظام ، هذا فى مخاطبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ زياد بن لبيد .

أما فى الرواية التى خاطب فيها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجمع من الصحابة ، فالواضح أن المقصود من سوق الأسلوب فيـها زجرهم عمـا استبعدوه من ذهاب العلم إذ قالوا : (وكيف يذهب العلم يا نـبى الله وفينـا كتاب الله) وهو ـ كما ترى ـ خال من القرائنة المقالية الواردة فى السياقات الأخرى ، وكذلك رواية أحمد التى خوطب فيها الأعرابى بهـذا الأسـلوب ، فالقرائن فى كليهما توشح أن يكون المراد بسوق الأسلوب فيهما الزجر ، وممـا يرشح لذلك هذه الجملة التى وقعت قبل الأسلوب (فرفع النبى ـ صلـى الله عليه وسلم ـ رأسه وقد علت وجهه حمرة من الغضب) وقد ظـهرت حالـة الغضب هذه فى اصطفاء أسلوب زجر غير معتاد (أى ثكلتك أمك) وظـهرت أيضا فى الجملة التى جاءت عقب الأسلوب (هذه اليـهود والنصـارى بـين أظهرهم المصاحف لم يصبحوا يتعلقوا بحرف مما جاءهم به أنبياؤهم ، ألا وإن من ذهاب العلم أن يذهب حملته ثلاث مرار) .

فقد استخدم اسم الإشارة القريب تقريعا له على عدم إبصاره ما هو قريب منه ، ، كذلك هذا القيد (لم يصبحوا . . .) مما يضاعف من توكيد الإخبـار بذهاب العلم ، وكذلك التكرار الذى فى نهاية الحديث كما تنـص الروايـة ، وترى مع الزجر أيضا ذما وتقريعا .

هذا وقد ذكر السندى فى حاشيته على ابن ماجة والأحوذى فى التحفـة أن المقصود من سوق الأسلوب التعجب من الغفلة ، ولايزاحم هذا ما ذكرتـه ، وإنما يتعاون معه ، والنكات البلاغية لاتتزاحم .

خامسا : الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخاطب بهذا الأسلوب كل قاتل عن عمد .

روى هذا الحديث بروايتين رواية نسب فيها الأسلوب للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ورواية أخرى نسب فيها الأسلوب لعبد الله بن عباس ــ رضى الله عنه ــ والروايتان لابن عباس ، وأغلب الظن أن ما نسب لابن عباس هو حكاية لما قاله الرسول ــ صلى الله عليه وسلم .

عن ابن عباس أن رجلا أتاه ، فقال : أرأيت رجلا قتل رجلا متعمدا قال : (جزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) قال : لقد أنزلت فى آخر ما نزل ما نسخها شئ حتى قبض رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وما نزل وحى بعد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : أرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ، قال : وأنى له بالتوبة ؟ وقد سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : ثكلته أمه رجل قتل رجلا متعمدا يجئ يوم القيامة آخذا قاتله بيمينه أو بيساره ، وآخذا رأسه بيمينه أو شماله تشخب أوداجه دما فى قبل العرش يقول : يارب سل عبدك فيم قتلتنى [1]

والرواية الثانية عن ابن عباس غير أن الأسلوب منسوب فيها لابن عباس [2]

قوله : ــ صلى الله عليه وسلم " ثكلته أمه رجل قتل رجلا عمدا . . . " لايمكن أن يكون مقصوده ــ صلى الله عليه وسلم ــ الدعاء على القاتل المتعمد بأن تفقده أمه ، ولا أن يخبر بذلك ، لأن أخذ اللفظ على ظاهره هنا لامعنى له ، فما قيمة الدعاء عليه بالموت على من قتل عمدا ، وقد قال فيه ربنا ما قال فى

---

[1] مسند أحمد كتاب مسند بنى هاشم حديث رقم (٢٠٣٥) وكنز العمال حديث رقم (١٣٩٩٣٠) .
[2] مسند أحمد كتاب مسند بنى هاشم حديث رقم (٢٥٥١) .

الآية الواردة فى نص الحديث ، والذى أبصره أن الأسلوب خرج من الدعاء إلى الذم ، أو إن شئت قلت : تأكيد الذم ، ولم يذم بأسلوب معتاد لأن عظم جرمه لا تناسبه الأساليب المعتادة للذم ، كما لاتتناسب الأساليب المعتادة للذم مع شناعة حال القاتل يوم القيامة ، انظر إلى صورته فى الحديث (آخذا قاتله بيمينه . . .) وكل هذه الأوصاف التى وردت للمقتول مصورة إياه بأبشع صورة تستوجب لعن القاتل ، وذمه بأبلغ الأساليب ؛ لذا فصل الحديث الشريف فى صورة المقتول تفصيلا تستبشعه النفس ، ولا تطيق إبصاره العين ، أرأيت إلى القتيل آخذا رأسه بيمينه وقاتله بشماله تشخب أوداجه دما ، من أجل هذا التبشيع الذى جاء فى الحديث بعد الأسلوب ، والآية الواردة قبل ذكر الأسلوب (الخلود فى جهنم ــ غضب الله عليه ــ لعنة الله عليه ــ العذاب العظيم) وهذه عقوبات تنخلع منها القلوب ، وتطير منها النفوس ، من أجل هذا السياق السابق على الأسلوب واللاحق له جئ بأبلغ أسلوب لتأكيد الذم لايفى سواه بحق السياق ولا المقام .

والعلاقة بين تأكيد الذم والدعاء علاقة قوية ، فالمدعو عليه والمذموم كلاهما مرتكب جرما عظيما ، فهو مجاز علاقته المشابهة بين حال المدعو عليه وحال المذموم .

أسلوب ثكل على لسان الصحابة ــ رضوان الله عليهم

أولا : أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ يخاطب عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ بهذا الأسلوب .

عن جابر ــ رضى الله عنه ــ أن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ أتى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بنسخة من التوراة ، فقال : يارسول الله هذه نسخة من التوراة فسكت ، فجعل يقرأ ووجه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتغير ، فقال أبو بكر : ثكلتك الثواكل ، ماترى بوجه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فنظر عمر إلى وجه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والذى نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتمونى لضللتم عن سواء السبيل ولو كان حيا وأدرك نبوتى لاتبعنى "[1]

قوله : ــ رضى الله عنه ــ " ثكلتك الثواكل " المقصود به ليس الدعاء عليه ، وإنما المقصود زجره عما لايجوز فعله ، والذى يعين على ذلك هو المقام الذى اتضح من بناء الكلام (فجعل يقرأ ووجه رسول الله يتغير) هذه الجملة الكاشفة عن حال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من قراءة عمر ــ رضى الله عنه ــ التوراة هذه الجملة كشفت عن حال اشمئزازه ــ صلى الله عليه وسلم ــ مما يسمع وكرهه له ، وأبو بكر ــ رضى الله عنه ــ يتابع كرهه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما يسمع ، ويبدو من تحت الكلام أنه حاول التلميح

---

[1] سنن الدارمى ــ المقدمة حديث رقم (٤٣٦) .

إلى عمر بالسكوت ، فلم ينتبه لذلك ، كما لم ينتبه لحاله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فقد وضع عمر نفسه فى مقام يلام عليه ويزجر عنه ، إذ كان موقفه ذاك سببا فى إغضابه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وإغضابه إغضاب لله ـــ تعالى ـــ وهذا يظهر فى السياق بعد لسان الفاروق ـــ رضى الله عنه ـــ إذ استعاذ بالله وتاب (أعوذ بالله من غضب الله ورسوله) (رضينا بالله ربا . . .) ثم كشف السياق بعد عن غضب الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ حين قال ـــ معقبا على قول عمر : (والذى نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتمونى لضللتم عن سواء السبيل ، ولو كان حيا وأدرك نبوتى لاتبعنى) وهذا التركيب كله يتظاهر على إظهار غضبه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من موقف عمر ، وقد ظهر هذا على قسمات وجهه الشريف أولا ، ثم نطق به لسانه الشريف ، وكأن الصديق ـــ رضى الله عنه ـــ كان يحس نبضات قلبه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ويتحسس حال نفسه الشريفة ، ثم تأمل (لو بدا لكم . . .) أى : أيليق بك ياعمر أن تقرأ التوراة المحرفة ، وحال من نزلت عليه التوراة لو كان موجودا لاتبعنى .

ومما يؤيد أن الأسلوب خرج من الدعاء إلى الزجر ما ذكره الصديق بعد الأسلوب (ما ترى بوجه رسول الله . . .) وما فيه من اللوم والتقريع ، ومما ضاعف من الزجر جمع المسند إليه فى الأسلوب (الثواكل) وفيه من قوة الزجر ماترى ، والسياق الذى ورد فيه هذا الأسلوب والمقام كذلك لايناسبهما إلا هذا الأسلوب ، لأن لغة الحديث ـــ كما مضى ـــ كشفت عن حال غضبه الشديد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ من موقف عمر ـــ رضى الله عنه ـــ والتى تجعل أساليب الزجر المعتادة ، أو أساليب النهى المعتادة ، غير مناسبة .

والعلاقة بين المدعو عليه والمزجور هى المشابهة من حيث إن كليهما علـــى حال يجب الإقلاع عنها ، ولا نستطيع فى المقام والسياق الذى ذكرنا أن نـــزع هذا الأسلوب ونقول مثلا : اسكت ما ترى بوجه رسول الله ؟ أو : لا تقرأ مـــا ترى بوجه رسول الله ؟ ألا ترى أن ذلك ينافر السياق ويعاند المقـــام ، أتـــراه مناسبا سبيل زجر عن إغضاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ؟ إنك تبصـــر المقام والسياق يطلبان الأسلوب ، وتراه موفيا بحق المقام والسياق ، فهو أقـــرع فى الزجر ، وأسكت لعمر ــ رضى الله عنه ــ وأقوى فى تنبيهه .

ثانيا : أبو بكر ــ رضى الله عنه ــ يخاطب أبا برزة ــ رضى الله عنـــه ــ بهذا الأسلوب .

عن أبي برزة ــ رضى الله عنه ــ قال : غضب أبو بكر على رجـــل غضبـــا شديدا ، حتى تغير لونه ، قلت : يا خليفة رسول الله والله لئن أمرتنى لأضربـــن عنقه ، فكأنما صب عليه ماء بارد ، فذهب غضبه عن الرجل ، قال : ثكلتـــك أمك أبا برزة ، وإنها لم تكن لأحد بعد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم " ([1])

قوله : ــ رضى الله عنه ــ " ثكلتك أمك أبا برزة " المقصود بـــه ــ والله أعلم ــ زجر أبي برزة على قوله السابق ، وإنما جاء أبو بكر ــ رضى الله عنـــه ــ بأسلوب أعنف فى الزجر لعظم ما صدر من أبي برزة عنده ، أرأيت كيـــف صنع به قوله : (والله لئن أمرتنى . . .) لقد أزال هذا القول غضبه تماما ممـــا سبق ونقله إلى حالة أخرى من الغضب أشد من تلك التى مضت ، وهذا أمـــر يدركه البصير بمنازل الناس ، فهو فى غضبه الشديد على الرجل لم يخرج عـــن كونه أبا بكر استغضبه واحد من الناس ، أما غضبه الثانى الأشد مـــن الأول ،

([1]) سنن النسائى كتاب التحريم حديث رقم (٤٠٠٧) .

فكان لأمر آخر هو أن وراء كلام أبي برزة إنزالا لأبي بكر ـــ رضى الله عنـه ـــ منزلة رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وشتان بين سبب غضب أبي بكـــر على الرجل ، وسبب غضبه على أبي برزة .

إن مقالة أبي برزة التي دلت روايات كثيرة في أحاديث شتى أنها لم تكن لغير رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ صنعت بأبي بكر صنيع السحر (فكأنمـــا صب عليه ماء بارد ، فذهب غضبه عن الرجل) إن تلك الحالة تصـــور لـــك الحالة الشعورية لأبي بكر إزاء مقالة أبي برزة ، وكأن مصابا عظيما وقع عليـــه فأنساه ما كان فيه من الغضب الأول ، وكذا المصائب العظام تنســـى صغـــار المصائب ، فقد لفتته مقالة أبي برزة إلى أمر خطير هو أن الناس قـــد يعـــاملون خليفة الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ معاملة الرسول ، فأتى أبـــو بكـــر بأسلوب زجر يناسب المقام ، ويلائم الحال ، فالأمر خطير وليس هينا ، وخـــروج عن المعتاد إذ وضع أبا بكر في مقام الرسول ، وكأن أبا برزة وضع نفسه موضع المدعو عليه من شدة مرتكبه ، فجاء قول أبي بكر منبها لـــه ، ورادعـــا لـــه ، وموقظا فيه العزم على عدم العود ، وكاشفا عن خطر ما قال ، وجـــاء بجملـــة عقب الأسلوب تعلل لاصطفائه أسلوب زجر وتعنيف قوى (وإنها لم تكن لأحد بعد رسول الله) .

ولعل مما يكشف عن هذه الحالة الشعورية ما ذكره السندى في حاشـــيته على النسائي من أن سبب تغليظ أبي بكر على الرجل أنه سبه ، وقال الســـندى ـــ معلقا على الحديث (فكأنما صب . . .) أى : أن كلام أبي برزة قد عظـــم عند أبي بكر حتى زال بسبب عظمه غضبه ، وهذا يكشف لك عن بصـــره ـــ رضى الله عنه ـــ بمواطن الخطر ، وأن خطورة مقالة أبي برزة أنست أبا بكر حتى

نفسه ، وألزمته أن يرد أبا برزة إلى أن حق الرسول — صلى اله عليه وسلم — أعظم من حق نفسه ، فاشتغل أبو بكر عن حق نفسه بتذكير أبي برزة بالحق الأعظم للرسول — صلى الله عليه وسلم — هذا نور الأسلوب فى هذا السياق ، ولا أظن أن غيره يفى بحق المقام ، ولايكشف عن حالة الفزع الشعورية التى كان عليها أبو بكر — رضى الله عنه — حين سمع مقالة أبى برزة ولك أن تحذف الأسلوب ، وتقول : اسكت أبا برزة ، أو صه أبا برزة ، ما من ريب أنك ترى أن هذا التعبير يطعن فى فقه أبي بكر بمنزلة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كما تراه معاندا للسياق الذى كشف لك عن عظم خطر المقالة (فكأنما صب . . .) فالأسلوب وارد على مقتضى الحال موف بحق المقام بحيث لايقوم سواه مقامه .

ثالثا : عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — يخاطب رجلا بهذا الأسلوب .

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إلى السوق ، فلحقت عمر امرأة شابة ، فقالت : يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغارا ، والله ما ينضجون كراعا ولا لهم زرع ولا ضرع ، وخشيت أن تأكلهم الضبع ، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفارى ، وقد شهد أبي الحديبية مع النبى — صلى الله عليه وسلم — فوقف معها عمر ولم يمض ، ثم قال : مرحبا بنسيب قريب ، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطا فى الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما ، وحمل بينهما نفقة وثيابا ، ثم ناولها بخطامه ، ثم قال : اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين أكثرت لها

، قال عمر : ثكلتك أمك والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنا زمانا ، فافتتحاه ثم أصبحنا نستفيء سهمانهما فيه " [١]

قوله ـــ رضى الله عنه ـــ " ثكلتك أمك " ليس المقصود به الدعاء حقيقة ، وإنما المقصود ـــ والله أعلم ـــ الإنكار ، لذا قال العينى هنا " قوله : ثكلتك أمك هى كلمة تقولها العرب للإنكار ، ولايريدون حقيقتها "[٢] وكذا قال ابن حجر فى الفتح ، وإنما أنكر عمر بن الخطاب على الرجل استكثاره ما أعطيت المرأة بهذا الأسلوب لا بأسلوب آخر ، لأن هذا الأسلوب يحمل مع الإنكار الزجر ، وليس هذا فى الأسلوب الإنكارى .

ومما يعين أن الأسلوب خرج من الدعاء إلى الإنكار الزاجر السياق الذى جاء الأسلوب على لاحبه ، حيث عرضت حاجتها بأسلوب رائع ذهاب العائل (هلك زوجى) الأيتام الصغار (وترك صبية صغارا) ثم زادت فى الكشف عن ضعفهم بأسلوب توكيد ، كنت به عن الفقر المدقع (والله ما ينضجون كراعا ولاهم زرع ولا ضرع) وقد ذكر العينى ما يفيد أن قولها (ما ينضجون كراعا) من عكس الظاهر حيث قال : " لا كراع لهم حتى ينضجوه " [٣] فيكون على مذهب قوله تعالى : (لا يسألون الناس إلحافا . . .) (البقرة / ٢٧٣) فظاهره أنهم يسألون فى غير إلحاف ، وحقيقته أنهم لايسألون إطلاقا لافى إلحاف ولا فى غير إلحاف ، ومما ضاعف من إظهار عظم الفاقة وشدة الحاجة تكرار لا النافية (ولاهم زرع ولا ضرع) وكشفت عن عظم أثر ذلك على اليتامى الصغار بجملة أخرى (وخشيت أن تأكلهم الضبع) وكل هذا مما يحمل عمر بن

---

[١] صحيح البخارى كتاب المغازى باب غزوة الحديبية حديث رقم (٣٨٤٣) .
[٢] عمدة القارى ١٧ / ٢١٨ .
[٣] عمدة القارى ١٧ / ٢١٨ .

أخرى (وخشيت أن تأكلهم الضبع) وكل هذا مما يحمل عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ على الإكثار فى العطاء وجاءت بعد عرض حاجتها الشديدة بجملة بديعة الموقع والبناء ، إذ هى بمثابة الاستشفاع بين يدى الحاجة (وأنا بنت خفاف . . .) أما ذكرها اسم والدها وجدها فوراءه تذكير لعمر بما كان من فضل والدها فقد ذكر الواقدى من حديث أبى رهم الغفارى قال : " لما نزل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالأبواء أهدى له غيماء بن رحضة مائة شاة وبعيرين يحملان لبنا بعث بها مع ابنه خفاف ، فقبل هديته ، وفرق الغنم فى أصحابه ودعا بالبركة "([1]) وهذا يدل على أنها تقصد تذكير الفاروق بما لها من كرم الأصل وعريق الفضل ، وأنها كريمة أدار الزمان لها ظهره ، وأنها ليست سائلة تردها اللقمة واللقمتان ، وذكر فضيلة أخرى لوالدها (وقد شهد الحديبية) .

فقد أبانت المرأة عن حاجتها وكرم أصلها خير بيان ولم يكن لمثل لعمر ــ وهو البصير ــ أن يجيبها بغير ما فعل ، تأمل السياق (فوقف معها عمر ولم يمض) ورائحة التوكيد ظاهرة فى هذا البناء الذى يدل على شدة اهتمامه بحالها ، تأمل (وقف ــ لم يمض) حتى المتعلق (معها) واحذف المتعلق وانظر ماذا يكون من ذهاب المعنى ؟ خدش التوكيد ولم يجئ المعنى مناسبا لعرضها حاجتها وذكرها أصالتها ، وتأمل أيضا قوله (مرحبا بنسيب قريب) لقرب نسب غفار من قريش ، فقد دلت التراكيب على أن عمر أقبل بكليته عليها ، وجاء التركيب (ثم انصرف إلى بعير ظهير . . .) وصفه بالظهير وهو وصف له بالقوة يدل على كثرة المحمول عليه وثقله ، وقد تنوعت العطية (طعاما ــ نفقة

([1]) عمدة القارى ١٧ / ٢١٨ .

ـــ ثيابا) ثم تأمل السياق (ثم ناولها بخطامه) وفى ذلك من الإكرام ما فيـــه ، ثم جاء قوله (فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير) تأكيدا على استمرار العطاء ، أيليـــق بعد طريقة عرضها حاجتها هذه بالبيان الذى أوجزت القول فيه وكرم أصلـــها وعظيم فضل والدها وجدها أن يعترض معترض على كثرة عطاء عمـــر لهـــا ، وكأن القائل أنكر على عمر كثرة عطائه هذه المرأة ، فقوبل الإنكـــار بإنكـــار زاجر لمن لايبصر حقيقة الحال وحق المقام ، ولم يكن مناسبا أن يؤتى بأســـلوب إنكارى معتاد خال من الزجر ، ومما يؤكد أن الأسلوب خرج من الدعـــاء إلى الإنكار الزاجر جملة القسم التى جاءت عقب الأسلوب على لســـان عمـــر ـــ رضى الله عنه ـــ والتى افتتحت بالقسم تنبيها بعظم المقسم به على عظم المقســم عليه (والله إنى لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنا زمانا فافتتحاه ثم أصبحنا نستفئ سهمانهما فيه) وكأن هذه الجملة بمثابة التعليل للإنكار الزاجر ، وقـــد ذكروا أن ذلك يحتمل أن يكون فى فتح خيبر ، وما جاء به عمر هو تأكيد علـى كرم أصلها وفضل أهلها ، تأمل (ثم أصبحنا نستفئ سهمانهما فيـــه) وكأنـــه يقول له إنما نعطيها بعض ما أعطى جدها وأبوها وأخوها للإسلام ، فإنكـــارك على أمر عجيب مستغرب ، أترى أن أسلوبا آخر كان أنسب للتعبير عن حـــال سيدنا عمر الشعورية من هذا الأسلوب ، إن حالة النفس هى التى أطلقت هـذا الأسلوب على اللسان إذ اصطفته خير وسيلة للتعبير عن إنكار الإنكار .

رابعا : عبد الله بن عمر ـــ رضى الله عنه ـــ يخـــاطب رجـــلا بهـــذا الأسلوب .

عن سعيد بن جبير ـــ رضى الله عنه ـــ قال : خرج علينا عبد الله بن عمـــر ، فرجونا أن يحدثنا حديثا حسنا ، قال : فبادرنا إليه رجل ، فقال : يا أبا عبـــد

الرحمن حدثنا عن القتال فى الفتنة ، والله يقول : (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) فقال : هل تدرى ما الفتنة ثكلتك أمك ؟ إنما كان محمد ــ صلـــى الله عليـــه وسلم ــ يقاتل المشركين ، وكان الدخول فى دينهم فتنة ، وليس كقتالكم على الملك " ([1]) وفى رواية أحمد " ما تقول فى القتال فى الفتنة ؟ قال : ثكلتك أمــك وهل تدرى ما الفتنة ؟ . . . "([2])

قوله : ــ رضى الله عنه " ثكلتك أمك " ليس المراد منه الدعاء حقيقــة ، وإنما المراد الزجر ، ويؤيده الجملة التى أعقبت الأسلوب ، والتى هـــى بمثابــة التعليل للزجر ، حيث أبانت للمخاطب أنه أورد الآية فى غير محلــها ، وتحــت إيراده الآية فى هذا المقام رمى لطائفة مؤمنة بالإشراك والكفر وهو مما لايجــوز ، وقد ذكروا أنه يشير بقوله ذاك إلى ما وقع بين مروان ثم عبد الملك ابنه وبـــين الزبير وما أشبه ذلك ، وكان رأى ابن عمر ترك القتال فى الفتنة ، ولو ظـهر أن إحدى الطائفتين محقة والأخرى مبطلة .

وقد ذكر ابن حجر أن قوله " ثكلتك أمك ظاهره الدعاء ، وقـــد يـــرد مورد الزجر كما هنا " هذا وفى إيراد الزجر بهذا الأسلوب تعبير عن اســتفظاع ابن عمر ما سمعه من هذا الرجل إذ أزعجه ما عبر به مما يشق وحدة الأمـــة فى وقت لعبت بها الفتنة ، لذا أتبعه بأسلوب القصر وبإنما الكاشفة أن حصر الفتنــة فى مقاتلة المشركين مما لايرتاب فيه مرتاب ، فقد كشف أسلوب الدعـــاء عـــن

([1]) صحيح البخارى كتاب الفتن باب قول النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الفتنة من قبل المشرق حديث رقم (٦٥٦٦) .

([2]) مسند أحمد ــ مسند المكثرين من الصحابة حديث رقم (٢١٢٥) .

حالة ابن عمر الشعورية ، فوق أنه فى زجر المخاطب من أى أسلوب آخر يفيد الزجر .

خامسا : عبد الله بن عباس — رضى الله عنه — يخاطب عكرمة — رضى الله عنه — بهذا الأسلوب .

عن عكرمة قال : صليت خلف شيخ بمكة ، فكبر ثنتين وعشرين تكبيرة ، فقلت لابن عباس إنه أحمق ، فقال : ثكلتك أمك سنة أبى القاسم — صلى الله عليه وسلم "[1]

الظاهر — والله أعلم — أن المقصود من سوق أسلوب الدعاء هنا التعجب ، وقد جاء ذلك مقابل رمى عكرمة — رضى الله عنه — من صلى وراءه بالحمق ، فكيف يرمى بالحمق من يتبع سنة النبى — صلى الله عليه وسلم — لأنها كانت صلاة رباعية فيما ذكروا ، وفى فتح البارى : زاد سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عند الإسماعيلى (الظهر) وبذلك يصح عدد التكبير الذى ذكره ، لأن فى كل ركعة خمس تكبيرات ، فيقع فى الرباعية عشرون تكبيرة مع تكبيرة الافتتاح ، وتكبيرة القيام من التشهد الأول .

هذا ولو جاء بأسلوب تعجب معتاد لما كشف عن حال ابن عباس فى الدهش مما رأى من مقالة عكرمة ، فجاء بأسلوب يفيد مع التعجب التنبيه على غفلته إذ هذا الأسلوب يثير الانتباه ويوقظ الحس ، وتطلقه النفس على اللسان ، فيكشف عن حال المتكلم ويلائم حال المخاطب .

---

[1] صحيح البخارى كتاب الآذان باب التكبير إذا قام من السجود حديث رقم (٧٤٦) ومسند أحمد — مسند بنى هاشم حديث رقم (٢٥٢٤) .

سادسا : جابر بن عبد الله — رضى الله عنه — يخاطب امرأته — رضى الله عنها بهذا الأسلوب .

عن جابر — رضى الله عنه — قال : كنا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يوم الخندق نحفره ، فلبثنا ثلاثة أيام لانطعم طعاما ولانقدر عليه ، فعرضت فى الخندق كدية ، فجئت إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقلت : يارسول الله هذه كدية قد عرضت فى الخندق فرششنا عليها الماء ، فقام النبى — صلى الله عليه وسلم — وبطنه معصوب بحجر ، فأخذ المعول أو المسحاة ، ثم سمى ثلاثا ، ثم ضرب فعادت كثيبا أهيل ، فلما رأيت ذلك من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قلت : يارسول الله إيذن لى ، فأذن لى ، فجئت امرأتى ، فقلت : ثكلتك أمك ، فقلت : قد رأيت من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — شيئا لاصبر لى عليه ، فهل عندك من شىء ؟ فقال : عندى صاع من شعير وعناق ، قال : فطحنا الشعير ، وذبحنا العناق وسلختها وجعلتها فى البرمة وعجنت الشعير ، ثم رجعت إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — فلبثت ساعة ثم استأذنته الثانية فأذن لى ، فجئت فإذا العجين قد أمكن فأمرتها بالخبز ، وجعلت القدر على الأثافى ، قال : ثم جئت النبى — صلى الله عليه وسلم — فقلت : إن عندنا طعيما لنا ، فإن رأيت أن تقوم معى أنت ورجل أو رجلان معك ؟ فقال : وكم هو ؟ قلت : صاع من شعير وعناق ، فقال : ارجع إلى أهلك ، وقل لها : لاتنزع القدر من الأثافى ، ولاتخرج الخبز من التنور حتى آتى ، ثم قال للناس : قوموا إلى بيت جابر ، قال : فاستحييت حياء لايعلمه إلا الله ، فقلت لامرأتى ثكلتك أمك ، قد جاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بأصحابه أجمعين ، فقالت : أكان النبى — صلى الله عليه وسلم

ـــ سألك كم الطعام ؟ فقلت : نعم ، فقالت : الله ورسوله أعلم ، وقد أخبرتـــه بما كان عندنا ، قال : فذهب عنى بعض ما كنت أجد ، وقلت : لقد صدقـــت ، فجاء النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فدخل ، ثم قال لأصحابه : لا تضـــاغطوا ، ثم برك على التنور وعلى البرمة ، قال : فجعلنا نأخذ من التنور الخبز ، ونأخذ اللحم من البرمة فنثرد ونغرف لهم ، وقال النبى : ـــ صلى الله عليه وســـــلم ـــ ليجلس على الصفحة سبعة أو ثما نية ، فإذا أكلوا كشفنا عن التنور وكشـــــفنا عن البرمة ، فإذا هما أملأ ما كانا فلم نزل نفعل ذلك كلما فتحنا التنور وكشفنا عن البرمة وجدناهما أملأ ما كانا حتى شبع المسلمون كلهم ، وبقى طائفة مـــــن الطعام ، فقال لنا رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إن الناس قد أصابتـــهم مخمصة فكلوا وأطعموا ، فلم نزل يومنا ذلك نأكل ونطعم "زاد الراوى أيمـــــن المكى أن جابرا أخبره أنهم كانوا ثمان مائة أو قال : ثلاث مائة ، قـــال أيمـــن لا أدرى أيهما قال "([١])

استخدم جابر ـــ رضى الله عنه ـــ أسلوب الدعاء مرتـــــين فى الحديـــث ،الشريف مخاطبا بهما امرأته ، وقد جاء الأسلوب فى موقعه الأول نتاج إعجابـــه بما رأى من رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ حين ضرب الكديـــــة الـــتى عرضت فى الخندق فصارت كثيبا أهيل ، وقد غمره إحساس قوى حــــين رأى هذا الموقف ، بشرف إطعام رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وإنما كـــــان نزوع نفسه إلى إطعامه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فى هذا الوقت خاصة ، لمـــا رأى من دلالة حاله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ على الحاجة إلى الطعام تـــأمل (وبطنه معصوب بحجر) لذا أسرع فى طلب الإذن حين رأى ما رأى لينقلـــب إلى

([١]) سنن الدارمى ـــ المقدمة حديث رقم (٤٢) .

بيته ، فجاء امرأته فبدأ حديثه معها بقوله : (ثكلتك أمك) واستخدم هذا الأسلوب دون أن يبدر شئ من امرأته فيه لفت قوى لها ، وإلهاب لمعرفة سبب إلقاء هذه الكلمة ، ثم أتبع هذا التنبيه ببيان سببه (قد رأيت من رسول الله شيئا لاصبر لى عليه) وجملة الدعاء وهذه الجملة التى جاءت بعدها بمثابة التمهيد لهذا السؤال (فهل عندك من شئ ؟) وكأنه ـــ رضى الله عنه ـــ بإلقائه أسلوب الدعاء فى مفتتح حديثه مع امرأته يريد أن يشركها معه حالته الشعورية فى الإعجاب مما رأى منه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ولو جاء بأسلوب آخر ما أدى هذه الدلالة التى جمعت بين التعبير عن حالة إعجابه ، وبين تنبيهه امرأته وإثارة انتباهها لما يقول ، وتهيئته نفسها لمطلبه ، فقد خرج الأسلوب من الدعاء إلى إثارة الانتباه وتنشيط السامع .

أما الأسلوب فى الموقع الثانى فقد خرج من الدعاء إلى استثارة السامع لإشراكه حالة المتكلم استرشادا برأيه واستغاثة به فى صرف ما أحاط به من الحياء .

تأمل ما عنده (صاع من شعير ـــ عناق) وقد عبر عنه داعيا رسول الله إليه بقوله (إن عندنا طعيما) بصيغة التصغير ، ثم تأمل موقع الجار والمجرور (لنا) مما يضاعف من إظهار قلة هذا الطعام ، أى هذا الطعام كاف لنا ، لذا جاءت دعوته مناسبة كمية المدعو إليه (فإن رأيت أن تقوم معى أنت ورجل أو رجلان معك) ومعنى هذا أن مجئ رجلين مع النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ هو الحد الأقصى لما تتحمله كمية هذا الطعام ، وقد سأله الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عن كمية الطعام بعد دعوته له فأخبره ، ومع هذا كله قال النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ للناس قوموا إلى بيت جابر وكانوا ثمان مائة أو ثلاثمائة

، كيف يكون حال جابر إذن ؟ إنها حالة الدهش التي تجعل الذهـــن فى حالـــة إغلاق ، فالهوة متسعة جدا بين كمية الطعام والعدد الآتى له وللعقل البشـــرى طاقات من الإدراك لايطيق سواها .

وقد جاء أسلوب الدعاء فى مفتتح حديثه مع امرأته كاشفا عن اســتعظامه ما حدث معبرا عن قلة حيلته مثيرا انتباه امرأته لتشركه حالته تلك ، فأنت حين تبادر أحدا بهذا الأسلوب دون أن يبدر منه شئ إنما تدعوه للإقبال بكليته عليك ، فهو لا محالة تارك كل تفكير وكل شاغل ومتوجه إليك يسألك ويســتحثك على الجواب وعلى الدوافع التى دفعتك إلى مخاطبته بهذا الأسلوب ، وليـس فى العربية أسلوب يقوم مقام هذا الأسلوب تعبيرا عن هذه الحالـة ، فالأســلوب كاشف عن حالة المتكلم به مبين عنها خير بيان مؤد لمراده خير تأدية ، وكــأن المتكلم به لشدة وقع ما حدث عليه يلح فى الاستغاثة بالمخاطب ، وجذبه جذبـا شديدا لإشراكه الإحساس بحالته تلك .

ولقد فقهت امرأة جابر ـــ رضى الله عنهما ـــ مراده ،فبادرته بسؤال (أكان النبى ـــ صلى الله عليه سلم ـــ سألك كم الطعام ؟) فقال : لها نعـم ، فقالت : الله ورسوله أعلم) أى كل الأمر لله ورسوله طالما أطلعته على حقيقـة الأمر ، وكأنى بكلامها هذا قد أزال عن سيدنا جابر ما كان يحسه من الحيـاء ، وما كان يعلوه من الخجل .

سابعا : عمر بن الخطاب ـــ رضى الله عنه ـــ يخـاطب نفسـه بهـذا الأسلوب .

عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كـان يسير فى بعض أسفاره ، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا ، فسأله عمــر بـن

الخطاب عن شئ فلم يجبه رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ، وقال عمر بن الخطاب : ثكلتك أمك ياعمر ، نزرت رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك ، قال عمر : فحركت بعيرى ، ثم تقدمت أمام المسلمين ، وخشيت أن ينزل فى قرآن ، فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بى ، قال : فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل فى قرآن ، وجئت رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فسلمت عليه ، فقال : لقد أنزلت على الليلة سورة لهى أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ، ثم قرأ (إنا فتحنا لك فتحا مبينا " ([1])

وفى رواية " فقال عمر بن الخطاب ثكلت أم عمر نزرت رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ثلاث مرات كل ذلك لايجيبك "([2]) وفى رواية " فقال عمر : ثكلتك أمك نزرت رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ثلاث مرات كل ذلك لايجيبك " ([3]) وفى رواية عن عمر " كنا مع رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فى بعض أسفاره فكلمت رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فسكت ، ثم كلمته فسكت ، فحركت راحلتى فتنحيت ، وقلت : ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ، نزرت رسول الله ـــ صلى الله عليه ـــ ثلاث مرات كل ذلك لايجيبك "([4]) وفى رواية " فقلت لنفسى : ثكلتك أمك ياابن الخطاب نزرت

([1]) صحيح البخارى كتاب المغازى حديث رقم (٣٨٥٩) .

([2]) صحيح البخارى كتاب تفسير القرآن حديث رقم (٤٤٥٦) .

([3]) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن حديث رقم (٤٦٢٦) .

([4]) سنن الترمذى كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ حديث رقم (٣١٨٥) .

رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ثلاث مرات فلم يرد عليـــك "([1]) وفى رواية " فقال عمر : ثكلتك أمك عمر نزرت رسول الله ـــ صلـــى الله عليـــه وسلم ـــ ثلاث مرات كل ذلك لايجيبك "([2])

قوله : ـــ رضى الله عنه" ثكلتك أمك ياعمر " وما قاربـــه فى الروايـــات الأخرى ليس المقصود منه الدعاء حقيقة ، وإنمـــا المقصـــود ـــ فيمـــا أرى ـــ التبكيت كما يشير إليه السياق حيث سأل الرسول ـــ صلى الله عليه وسـلم ـــ وألح فى المسألة ، وقد أقر ـــ رضى الله عنه ـــ بذلك فى الجملة التى وقعت موقع العلة من أسلوب الدعاء (نزرت رسول الله . . .) ونزرت معناه : حـــاولت استخراج ما عنده قليلا قليلا ، وهذا إلحاح على رسول الله ـــ صلى الله عليـــه وسلم ـــ وتكرار المسألة مع سكوت رسول الله ـــ صلى الله عليـــه وســـلم ـــ وضع عمر ـــ رضى الله عنه ـــ فى مأزق شديد ، وفى مهمه من خوف عاقبة مـــا اقترف ، فالتفت إلى نفسه مبكتا ومقرعا لها ، بأسلوب أقوى فى التبكيت من أى أسلوب آخر ، وإنما جاء هذا الأسلوب على لسانه تعبيرا عن حالته الشـــعورية آنذاك من الإحساس بعظم المرتكب .

وتأمل سلوكه بعد ذلك الذى يكشف لك هذه الحالة (فحركت بعـيرى . . .) وكيف أن الخجل قد أحاط به من كل جانب ، فاستحث بعيره ليفر مـــن أمام رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وهو أحب إليه من نفسه ، وهـــذا سلوك المحبين إذا ما استشعروا أدنى مقارفة فى حق محبوبهم ، وهـــذا الأســـلوب

([1]) مسند أحمد ـــ مسند العشرة المبشرين بالجنة حديث رقم (٢٠٤) .

([2]) الموطأ للإمام مالك كتاب النداء للصلاة حديث رقم (٤٢٧) .

والأسلوب الذى قبله يتعاونان فى تصوير حال عمر ، وما اعتراه من الخجل ومهابة الجلال لشخصه الشريف — صلى الله عليه وسلم ،

ولله در الأزهرى حين شرح قول ابن الخطاب (نزرت رسول الله . . .) بقوله : معناه أنك ألححت فى المسألة إلحاحا أدبك بسكوته عن جوابك "[١] وفى لسان العرب مايفهم أن الأسلوب خرج من الدعاء إلى التبكيت " فقال لنفسه كالتبكيت لها : ثكلتك أمك "[٢] كل هذا ولم ينتبه عمر إلى أن سكوته — صلى الله عليه وسلم — لم يكن وراءه إلا حالة الوحى التى تشغل الرسول — صلى الله عليه وسلم — عما حوله ، من أجل ذلك لما سرى عنه — صلى الله عليه وسلم — أسرع فى الإرسال إلى ابن الخطاب تهدئة لروعه ، وتطمينا لنفسه.

هذا وقد ورد فى مادة ثكل أحاديث أخرى لاتدخل فى موضوع دراستنا كقول معاوية بن الحكم السلمى " واثكل أمياه " [٣] وكقول مشرك لسلمة بن الأكوع " يا ثكلته أمه أكوعه بكرة " [٤] وفى رواية " يا ثكل أم أكوع "وكقول عائشة — رضى الله عنها — " واثكلياه " [٥]

---

[١] لسان العرب مادة (ن ز ر) .

[٢] لسان العرب مادة (ن ز ر) .

[٣] صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث رقم (٨٣٦) وسنن النسائى كتاب السهو حديث رقم (١٢٠٣) ومسند أحمد حديث رقم (٢٢٦٤٤) ورقم (٢٢٦٥٠) ورقم (٢٢٦٥١) وسنن الدارمى حديث رقم (١٤٦٤) .

[٤] صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير حديث رقم (٣٣٧٢) ومسند أحمد حديث رقم (١٥٩٤٢) .

[٥] صحيح البخارى كتاب المرضى حديث رقم (٥٢٣٤) وكتاب الأحكام حديث رقم (٦٦٧٧) .

الفصل الثانى

أسلوب ترب فى الحديث الشريف

توطئة

ترب فى اللغة : أصابه التراب ، ويقال : تربت يداه ، وهو على الدعاء أى : لا أصاب خيرا ، وقال بعض الناس : إن قولهم : تربت يداك يريد به استغنت يداك ، وهذا خطأ لا يجوز فى الكلام ، ولو كان كما قال لقال : أتربت يداك ، يقال : أترب الرجل فهو مترب إذا كثر ماله ، فإذا أرادوا الفقر قالوا : ترب يترب ، ورجل ترب : فقير ، ورجل ترب : لازق بالتراب من الحاجة ، ليس بينه وبين الأرض شئ "([1])

واستعمال عبارة (تربت يداك) وما شاكلها فى الدعاء استعمال مجازى ، قال الزمخشرى : ومن المجاز : تربت يداك ، إذا دعوت كأنك تقول : خبت وخسرت "([2])

هذا وقد ذكر اللغويون أن كلمة (تربت يداك) جارية على ألسنة العرب لايريدون بها الدعاء على المخاطب ، ولا وقوع الأمر به ، ثم أوردوا حديثه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ " عليك بذات الدين تربت يداك " وذكروا أن المراد به إراءة المأمور الجد فى الأمر ، أو أن باطنه لله درك ، أو أنه دعاء على الحقيقة"([3])

([1]) اللسان والوسيط مادة (ت ر ب)

([2]) أساس البلاغة مادة (ت ر ب)

([3]) النهاية لابن الأثير ١/ ١٨٤ واللسان مادة (ت ر ب) .



الأسلوب على لسان الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم .

أولا : الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يخاطب جابر بن عبد الله بهذا الأسلوب .

روى حديث " تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك " بروايات متعددة وأكثر الروايات عن أبي هريرة ، وأغلب الظن أن الرواية الأم هي لسيدنا جابر ـــ رضى الله عنه ـــ وما عداها رواية لما قاله الرسول له ، ولفظ رواية جابر بن عبد الله هو ما يلي :

" عن جابر بن عبد الله ـــ رضى الله عنه ـــ قال : تزوجت امرأة فى عهد رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فلقيت النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فقال : يا جابر تزوجت ؟ قلت : نعم ، قال : بكر أم ثيب ؟ قلت : ثيب ، قال : فهلا بكرا تلاعبها ، قلت : يا رسول الله إن لى أخوات ، فخشيت أن تدخل بينى وبينهن ، قال : فذاك إذن ، إن المرأة تنكح على دينها ومالها وجمالها فعليك بذات الدين تربت يداك " ([1])

والرواية الثانية عن أبي هريرة ـــ رضى الله عنه ـــ عن النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قال : تنكح المرأة لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات

([1]) صحيح مسلم كتاب الرضاع حديث رقم (٢٦٦٢) وسنن الترمذى كتاب النكاح عن رسول الله حديث رقم (١٠٠٦) وسنن النسائى كتاب النكاح حديث رقم (٣١٧٤) ومسند الإمام أحمد ـــ باقى مسند المكثرين حديث رقم (١٣٧٢٠) .

الدين تربت يداك " ([1])

ورواية عائشة — رضى الله عنها — " أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : تزوج المرأة لثلاث لمالها وجمالها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك ([2])

ورواية أبى سعيد " عن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تنكح المرأة على إحدى خصال ثلاثة ، تنكح المرأة على مالها وتنكح المرأة على جمالها ، وتنكح المرأة على دينها فخذ ذات الدين والخلق تربت يمينك " ([3])

ذكر شراح الحديث كلاما مطولا ، وضعفوا أن يكون المراد من ذلك الدعاء على الحقيقة ، ثم اختلفوا فى المراد بعد ذلك على أقوال منها أن المعنى : ضعف عقلك أو : افتقرت من العلم ، أو أن ترب بمعنى استغنى ، وهو خطأ لأن أترب هى التى بمعنى استغنى ، أو أن الكلام على تقدير شرط ، أى وقع ذلك لك إن لم تفعل ، غير أن الراجح عندهم أن الأسلوب خرج من الحقيقة إلى المجاز

([1]) صحيح البخارى كتاب النكاح حديث رقم (٤٧٠٠) وصحيح مسلم كتاب الرضاع حديث رقم (٢٦٦١) وسنن النسائى كتاب النكاح حديث رقم (٣١٧٨) وسنن أبى د اود كتاب النكاح حديث رقم (١٧٥١) ومسند أحمد — باقى مسند المكثرين حديث رقم (٩١٥٦) وسنن الدارمى كتاب النكاح حديث رقم (٢٠٧٦)وسنن ابن ماجة كتاب النكاح حديث رقم (١٨٤٨).

([2]) مسند أحمد — باقى مسند الأنصار حديث رقم (٢٤٠٣٥) .

([3]) مسند أحمد — باقى مسند المكثرين حديث رقم (١١٣٤٠) .

، إما لقصد الحث على الجد والتشمير فى طلب المأمور به ، وإما لقصد المـــدح ، والراجح عندهم هو الأول ([1])

فقد خرج الدعاء من الحقيقة إلى المجاز لقصد الحث على الجد والتشـــمير فى طلب المأمور به ، والذى أبصره أن أقوالهم الأخرى تحوم حول هذا المقصـــــد ، فعلى تقدير الشرط يكون التهديد واضحا لمن لم ينفذ كلامه ـــ صلى الله عليـــه وسلم ـــ كما أن إجراءه على الحقيقة أيضا يوحى بالتهديد بالفقر لمن لم ينفـــذ أمره ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فالأسلوب هنا حمال وجوه ، غـــير أن الأولى بفقه بيان النبوة وأدبه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أن يكون القصد الحث علـــى الجد والتشمير فى طلب المأمور به كما أسلفنا من استبعاد أن يدعو الرســـول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ على أحد من المسلمين .

هذا ولم يأت بأسلوب آخر لهذا المقصد لأن هذا الأسلوب يحمل من المبالغة ما لا يحمله أسلوب آخر ، فعادة المتوخين جارية على تقديم ذات المال والحسب والجمال وتأخير ذات الدين ، والأليق هو العكس ، كما أن اختيار ذات الديـــن يأتى على غير ما تهوى كثير من النفوس ، فليس المخـــاطب بالأســـلوب هنـــا مستعدا لقبول ما ذكره الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لذا خاطبه بأسلوب وخزه وخزا شديدا ، وقرع سمعه واستنفره على المطلوب ، ووجهه بقوة نحـــو الخير ، كما أرشد هذا الأسلوب إلى حبه الشديد ـــ صلى الله عليه وســـلم ـــ لشيوع الخير فى أمته ، لذا جاء قبل الأسلوب بالفعل (فاظفر) وكأن اختيـــار

([1]) ينظر عمدة القارى ٢٠ / ٨٦ ، إرشاد السارى ٨ / ٢٢ ، فتح البارى ٩ / ٣٨ ، ٣٩ ، وعون المعبود ٦ / ٣١ ، والأبى على مسلم والسنوسى عليه ٤ / ٩٢ ، ٩٣ وكذلك السندى على النسائى وتحفة الأحوذى على الترمذى .

ذات الدين مقاتلة هوى النفس ، ومدافعة لغيها ، وكبح لجماحها ، فجاء الأسلوب مناسبا للسياق موحيا بالمغالبة ملفتا إلى ما فيه الخير ، مزحزحا ما هو لائط بهوى بالنفس .

ثانيا : الرسول — صلى الله عليه وسلم — يخاطب أم سلمة وعائشة — رضى الله عنهما — بهذا الأسلوب ، وأم سلمة وعائشة تخاطبان أم سليم بهذا الأسلوب .

هذا الحديث له روايات متعددة حصرت للمخاطب بالأسلوب فيها أربع صور على النحو التالى :

١ — الرسول — صلى الله عليه وسلم — يخاطب عائشة — رضى الله عنها — بهذا الأسلوب ، وقد جاء ذلك فى خمس روايات يكتفى منها بهذه الرواية .

" عن أنس بن مالك — رضى الله عنه — قال : جاءت أم سليم — وهى جدة إسحق — إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالت له: — وعائشة عنده — يا رسول الله المرأة ترى ما يرى الرجل فى المنام ، فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه ، فقالت عائشة : يا أم سليم فضحت النساء تربت يمينك ، فقال لعائشة : بل أنت فتربت يمينك نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ذاك "[1]

---

[1] صحيح مسلم — كتاب الحيض حديث رقم (٤٦٨) وسنن النسائى كتاب الطهارة حديث رقم (١٩٦) وسنن أبى د اود كتاب الطهارة حديث رقم (٢٠٥) وموطأ الإمام مالك كتاب الطهارة حديث رقم (١٠٥) وسنن الدارمى كتاب الطهارة حديث رقم (٧٥٦) .

وقد جاءت صور الأسلوب فى الروايات الأخرى على هذا النحو (تربت يمينك فمن أين يكون الشبه) ورواية النسائى والدارمى (تربت يمينك يا عائشة ومن أين يكون الشبه) ورواية أبى داود (تربت يمينك ومن أين يكون الشبه).

٢ ــ الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخاطب أم سلمة ــ رضى الله عنها ــ بهذا الأسلوب ، وقد جاء ذلك فى ست روايات أكتفى منها برواية البخارى.

"عن أم سلمة ــ رضى الله عنها ــ قالت : جاءت أم سليم إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالت : يا رسول الله إن الله لايستحى من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ، قال النبى : ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا رأت الماء فغطت أم سلمة ــ تعنى وجهها ــ وقالت يا رسول الله أو تحتلم المرأة ؟ قال : نعم تربت يمينك فبم يشبهها ولدها "[1]

وقد جاءت صور الأسلوب فى الروايات الأخرى على هذا النحو ، رواية مسلم (تربت يمينك فبم يشبهها ولدها) ورواية ابن ماجة وأحمد (تربت يمينك فبم يشبهها ولدها إذا) وفى رواية لأحمد (تربت يمينك أنى يأتى شبه الخؤولة إلا من ذلك أى النطفتين سبقت . . .) وراية الدارمى (بل أنت تربت يداك إن خيركن التى تسأل عما يعنيها "[2] .

---

[1] صحيح البخارى ــ كتاب العلم حديث رقم (١٢٧) .

[2] صحيح مسلم كتاب الحيض حديث رقم (٤٧١) وسنن ابن ماجة كتاب الطهارة حديث رقم (٥٩٢) ومسند أحمد ــ باقى مسند الأنصار حديث رقم (٢٥٣٩٧) ورقم (٢٥٤١٣) وسنن الدارمى كتاب الطهارة حديث رقم (٧٥٧) .

٣ ـــ عائشة ـــ رضى الله عنها ـــ تخاطب أم سليم ـــ رضى الله عنها ـــ بهـــذا الأسلوب ، وقد سبق ذكر نص ذلك فى الرواية الأولى ، وقد جـــاء ذلــك فى ثلاث روايات ، وصور الأسلوب فيها على النحو التالى ، رواية مسلم (فضحت النساء تربت يمينك) ([١]) ورواية أخرى له (تربت يداك وألـت)([٢]) ورواية أحمد (تربت يداك) ([٣])

٤ ـــ أم سلمة ـــ رضى الله عنها ـــ تخاطب أم سليم ـــ رضى الله عنها ـــ بهـذا الأسلوب ، وقد وقع ذلك فى روايتين لأحمد والدارمى ، ورواية أحمد .

" عن عبد الله بن طلحة الأنصارى ـــ رضى الله عنه ـــ عـــن جدتـــه أم سليم قالت : كانت مجاورة أم سلمة زوج النبى ـــ صلى الله عليـــه وســـلم ـــ فكانت تدخل عليها ، فدخل النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فقالت أم سليم : يارسول الله : أرأيت إذا رأت المرأة أن زوجها يجامعها فى المنام أتغتسل ؟ فقـالت أم سلمة : تربت يداك يا أم سليم فضحت النساء عند رسول الله ـــ صلـــى الله عليه وسلم ـــ فقالت أم سليم : إن الله لايستحى من الحق ، وإنا إن نسأل النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عما أشكل علينا خير من أن نكون منه على عمياء ، فقال النبى : ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لأم سلمة بل أنت تربت يداك ، نعم يـــا أم سليم عليها الغسل إذا وجدت الماء ، فقالت أم سلمة يا رســـول الله وهـــل

([١]) صحيح مسلم كتاب الحيض حديث رقم (٤٦٨) .

([٢]) صحيح مسلم كتاب الحيض حديث رقم (٤٧٢) .

([٣]) مسند أحمد ـــ باقى مسند الأنصار حديث رقم (٢٣٤٦٩) .

للمرأة ماء ؟ فقال النبى : ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأين يشبهها ولدها هــن شقائق الرجال "([1])

هذا وسيكون حديثنا عن الصورتين الأوليين حديثا شاملا للصورتين معا ، و الأمركذلك فى الصورتين الأخريين ، قوله : ــ صلى الله عليــه وســلم ــ لعائشة ــ رضى الله عنها ــ " بل أنت فتربت يمينك " وما شاكله من الروايات الأخرى ، وقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأم سلمة ــ رضــى الله عنــها " تربت يمينك فبم يشبهها ولدها " وما شاكله من الروايــات الأخــرى ليــس المقصود به الدعاء على الحقيقة ، والقول بأنه على الحقيقة مرجوح عند العلمـاء ، والراجح أن الدعاء هنا مجازى ، والمقصود به هنا إما الزجر كما قــال ابــن حجر فى الفتح ، وإما الإنكار كما جاء فى شرح المنتقى على الموطأ ، وشــرح النووى على مسلم والأبى والسنوسى عليه ، وعون المعبود شرح ســنن أبى داود ، وإما اللوم كما ذكر السندى فى حاشيته على سنن النسائى وحاشــيته علــى سنن ابن ماجة .

وقد صرح العلماء بأن الأسلوب جاء مناسبا للمقام ملائما الحال يقــول النووى : ــ رحمه الله ــ ومن وافقه " وأما قوله لعائشة بل أنت فتربت يمينك ، فمعناه أنت أحق أن يقال لك هذا ، فإنها فعلت ما يجب عليها من السؤال عــن دينها فلم تستحق الإنكار ، واستحققت أنت الإنكار لإنكارك مــا لا إنكــار

([1]) مسند أحمد ــ باقى مسند الأنصار حديث رقم (٢٥٨٦٩) سنن الدارمى كتاب الطهارة حديث رقم (٧٥٧) .

فيه"(١) وقد ذكر صاحب المنتقى أن ذلك ورد على وجه التـــأديب لعائشة لإنكارها ما أقر عليه وهو لايقر إلا على الصواب .

وأرى الأسلوب فى هذا السياق حمالا لمقالات الأئمة ، فـــاللوم والزجـــر والإنكار ، تصلح كلها مرادات لهذا الأسلوب فى هذا الموقع حيث إن أم ســـليم كانت فى خجل شديد حين قيل لها : فضحت النساء ، وكأن الرسول ــ صلـــى الله عليه وسلم ــ جاء بالأسلوب المنكر به عليها تطييبا لنفسها ولوما وإنكـــارا وزجرا لمن رمتها بذلك ، فكان ذلك أوقع فى رفع الحرج عن أم سليم ، وكـــلام النووى يوضح هذا خير توضيح فأغنانا ذلك عن الإطالة .

غير أن روايتى البخارى ومسلم التى لم يرد فيها أن أم ســـلمة لم تقـــل لأم سليم فضحت النساء ، ولم تقل لها تربت يمينك ، كما قالت عائشة ــ رضى الله عنها ــ لايصلح فى المراد بالأسلوب فيها إلا الإنكار ، لأنها لم تنكـــر علـــى أم سليم ذلك ، وإنما سألت الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ منكرة (أو تحتلـــم المرأة ؟) فقال لها : تربت يداك فبم يشبهها ولدها ؟ والاستفهام الذى جـــاء عقب أسلوب الدعاء يؤيد خروج أسلوب الدعاء إلى الإنكار ، لأن أم ســـلمة هنا لم تقل ما يستوجب اللوم والزجر ، وإنما سألت منكرة فقوبل الإنكار بإنكار ، أما عائشة ــ رضى الله عنها ــ فقد أنكرت على المرأة سؤالها ونهرتها بقولهـا: فضحت النساء تربت يمينك ، وهى تريد بذلك الإنكار عليها وزجرهـــا علـــى مقالتها ، فاستوجبت الإنكار واللوم والزجر ، فهذا فرق عظيم بين المقـــامين ،

---

(١) النووى على مسلم ٣ / ٢٢١ .

وقد جاء الأسلوب فى كل مطابقا المقام ملائما الحال ، والعلاقة بـــين الدعـــاء وهذه المقاصد هى علاقة المشابهة بين حال المدعو عليه وحال الملام والمنكر عليه.

هذا ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أنه سيقال فى روايتى أحمد والدارمى مـنـ قيل فى مخاطبة عائشة بهذا الأسلوب لقول أم سلمة فى هاتين الروايتين لأم ســليم تربت يداك يا أم سليم فضحت النساء من إفادة الأســلوب الإنكـــار واللـــوم والزجر مطابقة للحال والسياق فى هاتين الروايتين .

أما الصورتان الأخريان فالمراد فيهما بقول عائشة وأم سلمة لأم ســليم (تربت يداك فضحت النساء) أو ما شاكله من الصور ، المراد بالأسلوب فى هذه الروايات الإنكار ، فقد أنكرتا على أم سليم سؤالها هذا ، ومـــا أنكرتـــاه إلا بسبب أنه خدش حياء النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكأنهما أرادتا الإنكـــار عليها بهذا الأسلوب زجرها أيضا عن معاودة مثل هذا ، فجاءتا بأسلوب أبلـــغ وأقوى فى الإنكار الزاجر ، إذ هو من الأساليب ذات القدرة الفائقة على إيقـاظ النفس وتنبيهها .

ثالثا : الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخاطب عائشـــة ــ رضى الله عنها ــ بهذا الأسلوب .

روى هذا الحديث فى مواطن متعددة من كتب السنة الشريفة نكتفى بروايـة واحدة منها ، ونعدد صور الأسلوب فى الروايات الأخرى .

" عن عروة بن الزبير ــ رضى الله عنه ــ أن عائشة ــ رضى الله عنها ــ استأذن على أفلح أخو أبى القعيس بعدما أنزل الحجاب ، فقلت : لا آذن لــه حتى أستأذن فيه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإن أخاه أبا القعيس ليس هـو أرضعنى ، ولكن أرضعتنى امرأة أبى القعيس ، فدخل على النـــبى ــ صلـــى الله

عليه وسلم ـــ فقلت له : يا رسول الله إن أفلح أخا أبى القعيس استأذن ، فأبيت أن آذن له حتى أستأذنك ، فقال النبى : ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وما منعك أن تأذن عمك ؟ قلت : يا رسول الله إن الرجل ليس هو أرضعنى ، ولكن أرضعتنى امرأة أبى القعيس ، فقال : ائذنى له فإنه عمك تربت يمينك ، قال عروة : فلذلك كانت عائشة تقول : حرموا من الرضاعة ما تحرمون من النسب "[١]

وفى رواية (تربت يداك أو يمينك)[٢] وفى رواية (فهلا أذنت له تربت يمينك)[٣] وفى رواية (ائذنى له تربت يمينك فإنه عمك)[٤] وفى رواية (تربت يمينك ائذنى له فإنما هو عمك) [٥] وفى رواية (تربت يمينك هو عمك)[٦] ، وفى رواية (فهلا أذنت له تربت يمينك أو يدك)[٧] .

قوله : ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لعائشة " تربت يمينك " بعد أمرها بالإذن ليس المقصود به الدعاء الحقيقى ، وإنما المراد بالأسلوب ـــ كما نقل ابن

---

[١] صحيح البخارى كتاب تفسير القرآن حديث رقم (٤٤٢٢) والبخارى كتاب الأدب حديث رقم (٥٦٩٠) ومسلم كتاب الرضاع حديث رقم (٢٦١٨) ومسند أحمد ـــ باقى مسند الأنصار حديث رقم (٢٢٩٢٥) .

[٢] صحيح مسلم كتاب الرضاع حديث رقم (٢٦١٧) وسنن ابن ماجة كتاب النكاح حديث رقم (١٩٣٨) .

[٣] صحيح مسلم كتاب الرضاع حديث رقم (٢٦٢٠) .

[٤] سنن النسائى كتاب النكاح حديث رقم (٣٢٦٥) .

[٥] مسند أحمد ـــ باقى مسند الأنصار حديث رقم (٢٢٩٥٦) .

[٦] مسند أحمد باقى مسند الأنصار حديث رقم (٢٢٩٧٣)

[٧] مسند أحمد باقى مسند الأنصار حديث رقم (٢٤٤٧١) .

حجر عن ابن السكيت فى الفتح ـــ التحريض على الفعل المذكـــور ، وقيـــل معناها المدح على المبالغة ، وذكر السندى فى حاشيته على النسائى أن المراد بهذا الأسلوب الإظهار لكراهة ذكر هذا الكلام فإنه معلوم أن المرأة هى المرضعـــة لا الرجل .

هذا ولا أرى تعاندا بين قول ابن السكيت وقـــول الســـندى ، فقـــول السندى تفسير لحال المتكلم ، وقول ابن السكيت تفسير لمـــراد المتكلـــم مـــن المخاطب ، وهذه رحابة فى الأسلوب ، إذ جاء ملائما حالى المخاطب والمتكلم ، وإنما جئ بهذا الأسلوب فى التحريض لما فيه من تنشيط النفس ، وقد وقع بعـــد أسلوب الأمر (ائذنى له) وأتبع بجملة تعليلية (فإنه عمك) وكل ذلك تصعيـد للتحريض على إيقاع الفعل ، ثم جاء أسلوب الدعاء ذروة التحريض على الفعل المذكور ، وكما أن الدعاء وسيلة لصرف المدعو عليه عما هو عليه ، فكذلـــك التحريض صرف للمحرض عما هو عليه ، وإلهاب له على إنفاذ المأمور بـــــه ، ولعل هذه العلاقة هى المسوغة لاستعمال الدعاء مجازا فى التحريض على الفعـــل المذكور .

رابعا : الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يخاطب خزيمة بـــن الحكم بهذا الأسلوب .

" عن الزهرى قال : قدم خزيمة بن الحكم السلمى ثم البهزى على خديجـــة بنت خويلد ـــ رضى الله عنها ـــ وكان إذا قدم عليها أصابته بخير ، ثم انصـرف إلى بلاده ، وإنه قدم عليها مرة ، فوجهته مع رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ومعه غلام لها يقال له ميسرة إلى بصرى ـــ وبصرى بأرض الشام ـــ وأحـب خزيمة رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ حبا شديدا حتى اطمأن إليه رسـول

الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال له خزيمة : يا محمد إنى أرى عليــــك مـــن الناس محبة ، وإنى لأظنك الذى يخرج بتهامة ، فقال له رسول الله : ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإنى محمد رسول الله ــ ، قال : أشهد أنك لصادق ، وإنى قـــد آمنت بك ، فلما انصرفوا من الشام رجع خزيمة إلى بلاده ، وقال : يا رســـول الله إذا سمعت بخروجك أتيتك ، فأبطأ على رسول الله ــ صلى الله عليه وســـلم ــ حتى إذا كان يوم فتح مكة أقبل خزيمة حتى وقف على رسول الله ــ صلـــى الله عليه وسلم ــ فقال له رسول الله : ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما نظر إليـــه مرحبا بالمهاجر الأول قال خزيمة : أما والله يا رسول الله لقد أتيتك عدد أصابعى هذه ، فما تمنهنى عنك إلا أن أكون مجدا فى إعلانك ، غير منكر لرسالتك ، ولا مخالف لدعوتك ، آمنت بالقرآن وكفرت بالأوثان ، وأتيتك يارسول الله غـــير مبدل لقولى ولا ناكث لبيعتى ، فقال رسول الله : ــ صلى الله عليه وســـلم ــ إن الله يعرض على عبده فى كل يوم نصيحة ، فإن هو قبلها سعد ، وإن تركـــها شقى ، فإن الله باسط يده لمسيئ النهار ليتوب ، فإن تاب تاب الله عليـــه ، وإن الحق ثقيل كثقله يوم القيامة ، وإن الباطل خفيف لخفته يوم القيامة ، وإن الجنـــة محظور عليها بالمكاره ، وإن النار محظور عليها بالشهوات ، أنعم صباحا تربـــت يداك ، قال خزيمة يارسول الله أخبرنى عن ظلمة الليل وضوء النهار ، وحر المـــاء فى الشتاء وبرده فى الصيف ، ومخرج السحاب وعن قرار ماء الرجل وماء المرأة ، وعن موضع النفس من الجسد وما شراب المولود فى بطن أمه ؟ وعن مخـــرج الجراد من البلد الأمين . . . "(١) والحديث طويل اكتفينا بهذا القدر منه .

---

(١) كنز العمال حديث رقم (٣٧٠٤٣) .

قوله : ــ صلى الله عليه وسلم ــ " أنعم صباحا تربـت يـداك " ليـس المقصود به الدعاء ، وإنما المقصود به المبالغة فى المدح ، وكأنه ــ رضى الله عنـه ــ بلغ مبلغا عظيما بحيث لايفى بحق مدحه كل أساليب المدح المعتادة فمـدح بهذا الأسلوب ، والقرينة على ذلك أن الأسلوب وقع بعد قوله " أنعم " فـلا يعقل أن يكون دعاء حقيقيا ، وإنما هو على حد قول العرب : قاتلـه الله لقـد أجاد ، وقد جاء هذا الأسلوب مناسبا السياق الذى يكشف عن تصديق خزيمـة رسول الله ، وعن فطنته إلى نور الرسالة فى وجهه الشريف ، وعن إصراره البالغ على تأكيد إيمانه بالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ألا تراه قال : لقد أتيتـك عدد أصابعى هذه . . . إلى أن قال : وأتيتك يارسول الله غير مبدل لقـولى ولا ناكث لبيعتى " وكأن وراء هذه المبالغة فى المدح بشارة له ــ رضى الله عنـه ــ بالجنة، وخاصة أنها وقعت بعد قوله: ــ صلى الله عليه وسلم ــ (وإن الجنـة محظور عليها بالمكاره ، وإن النار محظور عليها بالشهوات) وموقع الأسـلوب فى هذا الحديث موقع متميز من حيث غرضه .

خامسا : الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخاطب بـلالا ــ رضى الله عنه ــ بهذا الأسلوب .

" عن المغيرة بن شعبة ــ رضى الله عنه ــ قال : ضفت النبى ــ صلـى الله عليه وسلم ــ ذات ليلة فأمر بجنب فشوى ، وأخذ الشفرة فجعل يحز لى بهامتـه ، قال : فجاء بلال فآذنه بالصلاة ، قال : فألقى الشفرة ، وقال : ماله تربـت

يداه ، وقام يصلى ، زاد الأنبارى ، وكان شاربى وفى فقصه لى على سـواك ، أو قال : أقصه لك على سواك " [١]

قوله : ــ صلى الله عليه وسلم ــ لبلال " ماله تربت يداه " لايراد بـــه الدعاء حقيقة ، لأنه آذنه بالصلاة ولايعقل أن يدعو عليه النـــبى ــ صلـــى الله عليه وسلم ــ لذلك جاء فى عون المعبود أن الخطابى ذكر فى المعالم أنهم يطلقـون هذه الكلمة فى كلامهم ، وهم لايريدون وقوع الأمر ، كما قـــالوا : عقـــرى حلقى ، فإن هذا الباب لما كثر فى كلامهم ، وأداموا استعماله فى مجارى كلامهم صار عندهم بمعنى اللغو ، وذلك من لغو اليمين الذى لااعتبار به ولاكفارة فيه .

ومعنى هذا أن الأسلوب وقع هنا لغوا ، وأستبعد هذا المراد ، ولعل المراد به هنا المبالغة فى مدح بلال لمزيد حرصه على مواقيت الصلاة ، وإعلامه رســـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكانت هذه مهمته ، وربما ذلك يؤيد ســـرعة استجابة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (ماله تربت يداه وقام يصلـــى) وكأنه مدحه لمؤاذنته بالصلاة بالرغم من رؤيته رسول الله ــ صلـــى الله عليـــه وسلم ــ يبدأ فى الطعام ، أرأيت قبل الأسلوب (فأمر بجنب) وجنب الشـــاة شقها ــ فشوى ، وأخذ الشفرة فجعل يحز لى بهامته ، فجاء بلال فآذنه بالصلاة فألقى الشفرة ، تأمل تتابع الفاءات المؤذن بسرعة توالى الأحداث (فآذنه فـألقى . . .) وما فيها من سرعة الاستجابة لبصر هلال بمهمته الموكولة إليه ، وذلك ما جعل الأسلوب يأتى على لسان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مخاطبا بـــه بلالا عفو الخاطر ، وقد جاء كاشفا عن حبه ــ صلى الله عليه وسلم ــ صنيـــع

---

[١] سنن أبي داود كتاب الطهارة حديث رقم (١٦٠) ومسند أحمد ــ أول مسند الكوفيين حديث رقم (١٧٥٠٢) ورقم (١٧٥٢٦) .

بلال ، ولو كان هناك أدنى كره لما صنع بلال لأمره الرسول — صلى الله عليه وسلم — بالانتظار فأحسب أن قوله : — صلى الله عليه وسلم — هنا لبلال " ماله تربت يداه " بمنزلة قوله له أحسنت ، غير أن ماجاء عليه الأسلوب هو الأبلغ فى المدح .

ولا أستحسن أن يراد بالأسلوب هنا اللوم ، وإنما يكون اللوم على مرتكب لايجوز ، ولم يصدر هذا من بلال ، بل صدر منه ما استوجب المدح ، وأميل على ذلك إلى أن الاستفهام الواقع قبل الأسلوب للتعجب ، وكأن تتابع الأسلوبين يكشف عن تنغيمة المدح التى جالت بصدر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من صنيع بلال .

سادسا : الأسلوب حكاية عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم

" قال أنس بن مالك لم يكن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ سبابا ولا فحاشا ولا لعانا ، وكان يقول لأحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه "(١)

قوله : ــ رضى الله عنه ــ عند المعتبة يفسر لنا الغرض من قــــول هــــذا الأسلوب ، وأنه خرج من الدعاء إلى المعاتبة ، وليس هذا فى كل موطــن ورد فى الحديث الشريف ، وإنما فى المواطن التى يكون المخاطب به فيــــها مرتكبــــا مـــا لايجوز ، لأن أنسا ــ رضى الله عنه ــ يريد بهذا الخبر أن يـــــدل علــــى رفــــق الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بصحبه وأمته فى النصح .

ثانيا : فاطمة ــ رضى الله عنها ــ تخاطب عليا ــ رضـــــى الله عنه ــ بهذا الأسلوب .

" عن عبد الله بن حنين قال : سمعت على بن أبى طالب ــ رضى الله عنــــه ــ يقول : نهانى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا أقول نهاكم عن تختــــم الذهب ، وعن لبس القسى والمعصفر ، وقراءة القرآن وأنا راكع ، وكســـــانى حلة من سيراء فخرجت فيها فقال : يا على إنى لم أكسكها لتلبســـها ، قـــال : فرجعت بها إلى فاطمة ــ رضى الله عنها ــ فأعطيتها ناحيتها ، فــــأخذت بهـــا لتطويها معى ، فشققتها بثنتين ، قال : فقالت : تربت يداك يا ابن أبى طـــــالب

(١) مسند أحمد ــ باقى مسند المكثرين حديث رقم (١٢٠٠٧) ورقم (١٢١٤٨) .





الفصل الثالث

أساليب متنوعة

أسلوب عقرى حلقى

عقرى حلقى فى اللغة

يقال للمرأة : معناه : عقرها الله وحلقها ، أى : حلق شعرها ، أو أصابهـا بوجع فى حلقها ، وقيل : عقرى حلقى تعقـر قومـها ، وتحلقـهم بشـؤمها وتستأصلهم ، وقيل : العقرى الحائض ، وقال سيبويه : عقرته إذا قلت له عقـيا ، وهو من باب سقيا ورعيا وجدعا ، وقال الزمخشرى : هما صفتـان للمـرأة المشؤومة ، أى : أنها تعقر قومها وتحلقهم ، أى : تستأصلهم من شؤمها عليهم ، ومحلها الرفع على الخبرية ، أى : هى عقـرى حلقـى ، ويحتمـل أن يكونـا مصدرين على فعل بمعنى العقر والحلق كالشكوى للشكو ، وقيـل : الألـف للتأنيث مثلها فى غضبى وسكرى .

وحلقى : معناه أنه دعى عليها أن تئيم من بعلها فتحلق شـعرها ، قـال الأزهرى : وأصله عقرا حلقا ، وأصحاب الحديث يقولون : عقرى حلقى بوزن غضبى ، حيث هو جار على المؤنث ، والمعروف فى اللغة التنوين على أنه مصدر فعل متروك اللفظ ، تقديره : عقرها الله عقرا وحلقها الله حلقا .

وقال ابن جنى : قولهم : عقرى حلقى ، الأصل فيه أن المـــرأة كـــانت إذا أصيب لها كريم حلقت رأسها ، وأخذت نعلين تضرب بهما رأسها وتعقره وعلى ذلك قول الخنساء :

فلا وأبيك ما سليت نفسي   بفاحشة أتيت ولا عقوق

ولكني رأيت الصبر خيرا   من النعلين والرأس الحليق

يريد : إن قومي هؤلاء قد بلغ بهم من البلاء ما يبلغ بالمرأة المعقورة المحلوقـــة ، ومعناه أنهم صاروا إلى حال النساء المعقورات المحلوقات يشير بهذا التفســـير إلى معنى قول الشاعر :

ألا قومي أولو عقرى وحلقى   لما لاقت سلامان بن غنم

وقد ذكر ابن الأثير أن قوله : ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لصفيـــة (عقـــرى حلقى) ظاهره الدعاء عليها ، وليس بدعاء فى الحقيقة ، وذكر أبو عبيد أن هذا على مذهب العرب فى الدعاء على الشئ من غير إرادة لوقوعه ، وذكروا أيضـــا أنه يقال للأمر تعجب منه : عقرا حلقا ، قال الأصمعى : يقـــال عنـــد الأمـــر تعجب منه : خمشى وعقرى وحلقى كأنه من العقر والحلق والخمش "(١)

قال النووى : وعلى كل قول فهى كلمة كان أصلها ما ذكرناه ، ثم اتسعت العرب فيها فصارت تطلقها ولاتريد حقيقة ما وضعت له أولا ، ونظيره : تربت يداه ، وقاتله الله ما أشجعه وما أ شعره " (٢) وأيد ذلك القرطبى بقوله : وهـــذا

---

(١) النهاية لابن الأثير ٣ / ٢٧٢ وما بعدها ، واللسان والقاموس وأساس البلاغة مادة (ع ق ر) و (ح ل ق) بتصرف وعمدة القارى ٢٢ / ١٩٠ بتصرف .

(٢) النووى على مسلم ٨ / ١٥٤ .

على مذهبهم ـــ أعنى العرب ـــ فيما يجرى على ألسنتهم مما ظـــاهره الدعـــاء بالمكروه ولا يقصدونه "([1]) .

([1]) المفهم ٣ / ٣١٥ .

الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يخاطب صفية ـــ رضى الله عنها ـــ بهذا الأسلوب .

" عن عائشة ـــ رضى الله عنها ـــ قالت : خرجنا مع النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ولا نرى إلا الحج ، فقدم النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فطاف بالبيت وبين الصفا والمروة ولم يحل وكان معه الهدى ، فطاف من كان معه من نسائه وأصحابه ، وحل منهم من لم يكن معه الهدى ، فحاضت هى ، فنسكنا مناسكنا من حجنا ، فلما كان ليلة الحصبة ليلة النفر ، قال : يا رسول الله كل أصحابك يرجع بحج وعمرة غيرى ، قال : ما كنت تطوفين بالبيت ليالى قدمنا ؟ قلت : لا ، قال : فاخرجى مع أخيك إلى التنعيم ، فأهلى بعمرة وموعدك مكان كذا وكذا ، فخرجت مع عبد الرحمن إلى التنعيم ، فأهللت بعمرة وحاضت صفية بنت حيى ، فقال النبى : ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عقرى حلقى إنك لحابستنا ، أما كنت طفت يوم النحر ؟ قالت : بلى ، قال : فلا بأس انفرى ، فلقيته مصعدا على أهل مكة ، وأنا منهبطة ، أو أنا مصعدة وهو منهبط " [1]

---

[1] صحيح البخارى كتاب الحج حديث رقم (١٦٤١) ورقم (١٤٥٩) ورقم (١٦٤٩) وكتاب الطلاق حديث رقم (٤٩١٣) وكتاب الأدب حديث رقم (٥٦٩١) وصحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم (٢١٢١) ورقم (٢٣٥٧) وسنن ابن ماجة كتاب المناسك حديث رقم (٣٠٦٤) ومسند أحمد ـــ باقى مسند الأنصار حديث رقم (٢٣٤١٩) ورقم (٢٣٧٥٩) ورقم (٢٤٦٨٩) ورقم (٢٤٩٦٤) ورقم (٢٥٠٩٧) وسنن الدارمى كتاب المناسك حديث رقم (١٨٣٧) .

قوله : ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لصفية ـــ رضى الله عنـــــها " عقـــرى حلقى " اتفق شراح الحديث على أنه لايراد بهذا الدعاء حقيقتـــــه ، لكنـــهم لم يذكروا المعنى الذى خرج إليه هذا الأسلوب .

ومن لطائفهم أنهم وازنوا بين قول النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ هنـــــا لصفية (عقرى حلقى) وقوله لعائشة فى الحج (هذا شئ كتبه الله على بنـــات آدم) قال القرطبى وغيره : " شتان بين قوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ هـــذا لصفية ـــ وبين قوله لعائشة لما حاضت منه فى الحج هذا شئ كتبه الله على بنات آدم لما يشعر به من الميل لها والحنو عليها بخلاف صفية ، قال ابن حجر: وليـــس فيه دليل على اتضاع قدر صفية عنده ، لكن اختلف الكلام باختلاف المقـــام ، فعائشة دخل عليها وهى تبكى أسفا على ما فاتها من التنسك فسلاها بذلـــك ، وصفية أراد منها ما يريد الرجل من أهله ، فأبدت المانع فناسب كلا منهما مـــا خاطبها به فى تلك الحالة .

وهذا كلام جيد من أئمتنا فى فقه المقام ، وأن كل تركيب جـــاء مطابقـــا مقتضى المقام ، ولعل المقصود من سوق هذا الأسلوب هو إظهار الكراهة لأثـــر حيضها ، وربما يكون فى قوله : ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إنك لحابستنا بعـــده تأييد لهذا المراد ، وليس فى الأسلوب أكثر من هذا ، كما أننى لا أميل إلى أنه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قال لها هذا القول لأنه كان وقتها يريد ما يريد الرجـــل من أهله ، لأن ما بعد الأسلوب قد وضح المراد منه ، والأسلوب يشكل دفقـــة شعورية لحال العناء التى يكون عليها الحاج بعد نهاية رحلته ، وأنه بعـــد نهايـــة الرحلة يميل إلى الراحة من عناء الرحلة ، والحج جهاد كما هو معلوم .

من أجل ذلك قال السندى فى حاشيته على ابن ماجة : قولـــه "عقــرى حلقى " قال ذلك على زعم أنها أخرت الإفاضة وليس هــذا لــذم الحيــض ، كذلك لا أرى أن هذا الأسلوب خرج من الدعاء إلى التعجب كما ذهـــب إلى ذلك اللغويون ــ فيما مضى بيانه ــ لأننى لا أرى له مسوغا فى الأســـلوب ، وإنما الأشبه أن يكون الأسلوب خارجا إلى اللوم والمعاتبة ، والأسلوب بذلـــك لايقوم سواه مقامه ، لأنه كشف عن حال المتكلم حيث حمل صورة كراهته لأثر الحيض ، ولاءم المخاطب فى لومه ومعاتبته على تأخير طواف الإفاضة مما يـترتب عليه تأخير الرحيل .

أسلوب قطع الله يدك وقطع الله رحمك

الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخاطب عائشة وحفصة ــ رضى الله عنهما ــ بهذا الأسلوب .

" عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : دخل على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأسير فلهوت عنه ، فذهب فجاء النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : ما فعل الأسير ؟ قالت : لهوت عنه مع النسوة ، فخرج فقال : مالك قطع الله يدك أو يديك ؟ فخرج فآذن به الناس فطلبوه ، فجاؤوا به ، فدخل على وأنا أقلب يدى ، فقال : مالك أجننت ؟ قلت : دعوت على فأنا أقلب يدى أنظر أيهما يقطعان ! فحمد الله وأثنى عليه ، ورفع يديه مدا ، وقال : اللهم إنى بشر أغضب كما يغضب البشر ، فأيما مؤمن أو مؤمنة دعوت عليه فاجعله له زكاة وطهورا "([1]) وقد روى هذا الحديث أيضا فى حفصة وهذا نصه:

" عن أنس بن مالك أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رفع إلى حفصة ابنة عمر رجلا ، فقال : احتفظى به ، قال : فغفلت حفصة ، ومضى الرجل فدخل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقال : يا حفصة ما فعل الرجل ؟ قالت : غفلت عنه يا رسول الله ، فخرج فقال رسول الله : ــ صلى الله عليه وسلم ــ قطع الله يدك فرفعت يديها هكذا ، فدخل رسول الله ــ

([1]) مسند أحمد ــ باقى مسند الأنصار حديث رقم (٢٣١٢٥) .

صلى الله عليه وسلم ـــ فقال : ما شأنك يا حفصة ، فقالت : يـــا رســـول الله قلت قبل لى : كذا وكذا ، فقال لها : صفى يديك ، فإنى سألت الله ـــ عز وجل ـــ أيما إنسان من أمتى دعوت الله ـــ عز وجل ـــ أن يجعلها مغفرة له "[1]

قوله : ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لعائشة أو حفصة ـــ رضى الله عنـــهما ـــ " قطع الله يديك " ليس المقصود به الدعاء حقيقة ـــ فيما أبصـــر ـــ وإنمـــا المقصود به اللوم غير أنه عبر بهذا الأسلوب فى اللوم ولم يعبر بسواه ، لما هـــذا الأسلوب من أثر السحر فى الكشف عن غضبه ـــ صلى الله عليـــه وســـلم ـــ وكرهه لما حدث من التقصير فيما أسند إليها من أمر ، وقد ذكرت فى جوابهـــا أن السبب فى التقصير هو الغفلة واللهو ، فكأنه جاء بهذا الأسلوب تشـــديدا فى لومها ، وإمعانا فى تعنيفها على هذا التقصير ، وفى الوقت ذاتـــه جـــاء هـــذا الأسلوب كاشفا عن حاله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وما اعتراه من الغضـــب تأثرا بما حدث ، ولما كان لهذا الأسلوب هذا الأثر البالغ فى اللوم والمعاتبة ظنتـــا أن المراد بالدعاء حقيقته ، لذا قلبتا أيديهما انتظارا لوقوع القطع الذى أخبر بـــه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وقد كشف سياق الحديث بعد ذلك عن حالـــه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ التى ألقى فيها هذا الأسلوب " اللهم إنى بشر أغضـــب كما يغضب البشر " ، هذا ولايمنع أن يكون الأسلوب دعاء حقيقيا بناء علـــى هذه الحالة ، وإن كنت أرجح أن يكون المراد به اللوم والمعاتبة .

---

[1] مسند أحمد ـــ باقى مسند المكثرين حديث رقم (١١٩٨١) .

العباس ــ رضى الله عنه ــ يخاطب عبد الله بن رواحة ــ رضى الله عنه ــ بهذا الأسلوب .

" عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر قال : قال رسول الله : ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ، قال : فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم ، واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم ، قال : وقال عمر : يا رسول الله أخرجوك وكذبوك قربهم فاضرب أعناقهم ، قال : وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ، ثم أضرم عليهم نارا ، قال : فقال العباس : قطعت رحمك ، قال : فدخل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولم يرد عليهم شيئا ، قال : فقال ناس : يأخذ بقول أبى بكر ، وقال ناس :يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ، قال : فخرج عليهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : إن الله ليلين قلوب رجال فيه ، حتى تكون ألين من اللبن ، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم ــ عليه السلام ــ قال : (ومن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم) ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال : (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) وإن مثلك يا عمر كمثل نوح ــ عليه السلام ــ قال (رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا) وإن مثلك يا عمر كمثل موسى ــ عليه السلام ــ قال رب (اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) أنتم عالة فلا ينفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضربة عنق ، قال عبد الله : فقلت يا رسول الله : إلا سهيل بن بيضاء ، فإنى قد سمعته يذكر الإسلام ، قال : فسكت ، قال : فما رأيتنى فى يوم أخوف أن تقع على حجارة

من السماء فى ذلك اليوم حتى قال : إلا سهيل بن بيضاء قال : فأنزل الله — عز وجل (وما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) إلى قوله (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) حدثنا معاوية — يعنى ابن عمرو — حدثنا زائدة فذكر نحوه إلا أنه قال : إلا سهيل بن بيضاء ، وقال فى قول أبى بكر قال : فقال أبو بكر : يا رسول الله عترتك وأصلك وقومك تجاوز عنهم يستنقذهم الله بك من النار ، قال وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله أنت بواد كثير الحطب فأضرمه نارا ، ثم ألقهم فيه ، فقال العباس : قطع الله رحمك "[1]

قول العباس — رضى الله عنه — لعبد بن رواحة — رضى الله عنه — " قطع الله رحمك " لايمكن أن يكون ذلك دعاء حقيقيا ، ولعل الأسلوب خرج من الدعاء إلى اللوم والمعاتبة ، وقد حمل الأسلوب حزن العباس — رضى الله عنه — على ذويه فله بهم نسب ورحم ، وإنما قال هذا القول لعبد الله بن رواحة ، لأن اقتراحه كان أشد الاقتراحات قساوة (أنت بواد كثير الحطب فأضرمه نارا ثم ألقهم فيه) أما قول عمر فقد كان أخف وطأة (قربهم فاضرب أعناقهم) فقد كشف الأسلوب عن حال المتكلم ، ولاءم حال المخاطب ، إذ قال له لائما معاتبا (قطع الله رحمك) لأن اقتراحه لم يراع الرفق فى رحم كثير من الصحابة ، فكأن أسلوب اللوم والمعاتبة جاء قاسيا ليناسب قساوة مقالته .

---

(1) مسند احمد — باقى مسند المكثرين من الصحابة حديث رقم ٠ ٣٤٥٢) .

هذا وقد جاء هذا الأسلوب فى حديثين آخرين وأغلب الظـــن أن الدعـــاء فيهما حقيقى " من وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله "[١] كذلـــك قوله : ـــ صلى الله عليه وسلم " قطع صلاتنا قطع الله أثره "[٢] لأن الله قطـــع أثره فأقعد ، ومعنى هذا أن كان دعاء حقيقيا .

---

[١] سنن أبي داود ـــ كتاب الصلاة حديث رقم (٥٧٠) ومسند أحمد ـــ المكثرين من الصحابة حديث رقم (٥٤٦٦) .

[٢] سنن أبي داود ـــ كتاب الصلاة حديث رقم (٦٠٥) ورقم (٦٠٦) ومسند أحمد ـــ مسند المدنيين حديث رقم (١٦٠١٣) وباقى مسند الأنصار حديث رقم (٢٢١١٣)

أسلوب قاتله الله

توطئة

قاتله الله أى قتله ، وقيل : لعنه ، وقيل : عاداه ، وقد تكررت فى الحديث ولاتخرج عن أحد هذه المعانى ، وقد ترد بمعنى التعجب من الشئ كقولهم تربت يداه ، وقد ترد ولا يراد بها وقوع الأمر [١] قال الزمخشرى : ومن المجاز قاتله الله ما أفصحه [٢]

وفى القرآن (قاتلهم الله) قيل : معناه لعنهم الله ، وقيل معناه : قتلهم ، والصحيح أن ذلك هو المفاعلة ، والمعنى صار بحيث يتصدى لمحاربة الله فإن من قاتل الله فمقتول ، ومن غالبه فهو مغلوب [٣]

هذا وقد جاءت أحاديث كثيرة فى هذا الأسلوب ، غير أن المراد بالأسلوب فيها الدعاء حقيقة كما قضت بذلك سياقاتها [٤] ولم أجد فى الحديث الشريف — فيما استقريت من مراجع — إلا حديثا واحدا يدخل فى موضوع البحث .

---

[١] النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤ / ١٢ .

[٢] أساس البلاغة مادة (ق ت ل) .

[٣] المفردات فى غريب القرآن للراغب ٣٩٣ .

[٤] البخارى كتاب المغازى حديث رقم (٣٩٥١) وكتاب أحاديث الأنبياء حديث رقم (٣١٠٣) وكتاب الحج حديث رقم (١٤٩٨) وكتاب المناقب حديث رقم (٣٤٢٤) وكتاب البيوع حديث رقم (٢٠٧٢) وسنن أبى داود كتاب السنة حديث رقم (٤٠٠٢) وكتاب المناسك حديث رقم (١٧٣٢) ومسند أحمد أحاديث رقم (٥١١٨) و (٢٩٢٩) و (٣٢٧٦) و (١٤٤٢٧) .

عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — يخاطب سمرة — رضى الله عنه — بهذا الأسلوب .

" عن ابن عباس — رضى الله عنه — قال : بلغ عمر أن سمرة باع خمـــرا ، فقال : قاتل الله سمرة ، ألم يعلم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قـال : لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها " (١)

وقد خرج ابن الأثير قول عمر — رضى الله عنه — هنا " قاتل الله سمـــرة " على أنه لا يراد به حقيقة الدعاء ، وإنما هو بمعنى التعجب من الشئ كقولهـــم : تربت يداه (٢) وقد نقل ابن حجر فى الفتح عن الخطابى أن قــــال : ولايظـــن بسمرة أنه باع عين الخمر بعد أن شاع تحريمها ، وإنما باع العصير ، أو يحتمل أن يكون خلل الخمر وباعها ، وكان عمر يعتقد أن ذلك لايجوز كما هو قول أكثر العلماء ، واعتقد سمرة الجواز ، ثم قال بعد ذلك كلاما جيدا ، "ولكن يحتمل أن يقال : إن قول عمر قاتل الله سمرة ولم يرد به ظاهره ، بل هى كلمـــــة تقولهـــا العرب عند إرادة الزجر ، فقالها فى حقه تغليظا له ، وفيه إقالـــة ذوى الهيئـــات زلاتهم لأن عمر اكتفى بتلك الكلمة عن مزيد عقوبة ونحوها "

فنحن أمام رأيين فيما خرج إليه الأسلوب (التعجب) (الزجر) فيمـــا يظهر للناظر غير أننى لا أراهما رأيين ، فالتعجب تحديد لدلالة الأسلوب علــــى

---

(١) صحيح مسلم كتاب المساقاة حديث رقم (٢٩٦١) والبخارى كتاب البيوع حديث رقم (٢٩٦١) وسنن النسائى كتاب الفرع حديث رقم (٤١٨٤) وسنن ابن ماجة كتاب الأشربة حديث رقم (٣٣٧٤) ومسند أحمد — مسند العشرة المبشرين بالجنة حديث رقم (١٦٥) وسنن الدارمى — كتاب الأشربة حديث رقم (٢٠١٢) .

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤ / ١٢ ، ١٣ .

حال المتكلم من دهشة ما سمع ، والزجر تحديد لمراد المتكلم من المخاطب بهذا الأسلوب ، فالأسلوب جاء كاشفا عن حال المتكلم ملائما حال المخاطب ، كما أن استخدام هذا الأسلوب فى الزجر دون سواه يحمل من التغليظ فى الزجر والتشديد فيه ما لم يحمله غيره ، وقد ناسب الأسلوب ما بعده أيضا ، حيث ذكر عمر — رضى الله عنه — بعد قوله هذا سؤالا تقريريا (ألم يعلم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : لعن الله اليهود حرمت . . .) زيادة تقريع له وزجر على اصطناع الحيل ، وأن ذلك من مسالك اليهود ، وفى رواية البخارى (ألم يعلم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال :قاتل الله اليهود . . .) فكأنه خاطبه بما ذكر لليهود لاتحاد المقامين إذ كلاهما متلمس للحيل إلى الحرام ، وشتان بين المخاطبين بهذا الأسلوب ، فالأول صحابى جليل ، أما اليهود فمشترون بآيات الله ثمنا قليلا ، ولكن عمر — رضى الله عنه — أورد هذا الأسلوب إبلاغا فى زجره وإيقاظه وتنبيهه بذكر هذا الأسلوب أنه سار سيرة اليهود ؛ لذا لم يكن مناسبا أن يخاطب عمر — رضى الله عنه — سمرة بهذا الأسلوب .

أساليب رغم أنفك وأرغم الله أنفك وأبعدك الله

توطئة

الرغم (بفتح الراء المشددة وبضمها وبكسرها) بمعنى الكره ، قال ابن الأعرابي : وفى الحديث وإن رغم أنفه ، أى ذل ، و يقال : أرغم الله أنفه أى ألزمه بالرغام وهو التراب هذا هو الأصل ، ثم استعمل فى الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كره ، وقد ذكر الزمخشرى أن استعمال الأسلوب كذلك مجاز ، قال : ومن المجاز ألصقه بالرغام إذا أذله و أهانه ومنه رغم أنفه ورغم [1]

هذا وقد رأيت هذا الأسلوب فى بعض مواقعه واردا للدعاء ، وقد رأيته فى حديث واحد واردا بأسلوب أرغم الله أنفك .

---

[1] النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ ولسان العرب وأساس البلاغة مادة (ر غ م) .

أسلوب رغم أنف على لسان الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم

" عن أبي هريرة ـــ رضى الله عنه ـــ عن النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قال : رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف ، قيل : من يا رسول الله ؟ قال : من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة "(١)

" عن أبي هريرة ـــ رضى الله عنه ـــ قال : قال رسول الله : صلى الله عليه وسلم ـــ رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان فانسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة "(٢)

نقل النووى ـــ رحمه الله ـــ كلام أهل اللغة ثم قال : وفيه الحث على بر الوالدين وعظم ثوابه ، ومعناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك سبب لدخول الجنة ، فمن قصر فى ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه "(٣)

وقد وضح الأبى أن المراد برغم أنف هنا الدعاء فقال : " هو دعاء مؤكد على من قصر فى بر أبويه ، ثم يحتمل أن معناه صرعه الله لأنفه فأهلكه ، وهذا إنما هو فى من لم يقم بواجب برهما ، ويحتمل أن معناه أذله الله ـــ تعالى ـــ لأن

(١) صحيح مسلم ـــ كتاب البر والصلة حديث رقم (٤٦٢٧) ورقم (٤٦٢٨) ومسند أحمد ـــ باقى مسند المكثرين حديث رقم (٨٢٠١) .

(٢) سنن الترمذى ـــ كتاب الدعوات حديث رقم (٣٤٦٨) ومسند أحمد ـــ باقى مسند المكثرين حديث رقم (٧١٣٩) .

(٣) النووى على مسلم ١٦ / ١٠٩ .

من لصق أشرف وجهه الذى هو الأنف بالتراب الذى هو موطئ الأقدام ، فقد بلغ فى الذل الغاية "([1])

وقد ذكر صاحب تحفة الأحوذى أن الأسلوب هنا إخبار أو دعاء ، وقد نقل عن الطيبى أن الفاء فى قوله (فلم يصل . . .) استبعادية ، والمعنى : بعيد على العاقل أن يتمكن من إجراء كلمات معدودة على لسانه فيفوز بها فلم يغتنمه فحقيق أن يذله الله ، وقيل إنها للتعقيب فتفيد به ذم التراخى عن الصلاة عليه عند ذكره ـــ صلى الله عليه وسلم .

أخلص من هذا إلى أن الأسلوب لا يقصد به حقيقة الدعاء ، وإنما المقصود به الحث على الجد والتشمير فى طلب المأمور به وهو (الصلاة على رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عند ذكره ، والإحسان إلى الوالدين والقيام بحق الله فى رمضان واغتنامه) وإنما جاء التحريض على طلب المأمور به بهذا الأسلوب زيادة فى إلهاب النفس على الخير ، واستثارتها نحو طاعة الله ، وفى تكرار الأسلوب تعظيم للأمور المذكورة فى الحديث الشريف وبيان لعلو شأنها ، وأعظم هذه الأمور البر بالوالدين ، لذا أسند دخول الجنة إليهما (فلم يدخلاه الجنة) وكأن الأمر فى إدخال الابن الجنة مفوض إليهما ، وفى ذلك زيادة حث على البر بهما ، وقد صور الحديث الشريف أن القيام بهذه الأمور الثلاثة هو مناط العزة والغنى فى الآخرة ، هذا ولا مانع من أن يكون الأسلوب على الحقيقة فى حق من قصر ، وكل ذلك مما يعطى الأسلوب قوة وثراء فيصلح للحقيقة والمجاز الأول فى حق المقصر ، والثانى فى حق القائم على أمر الله ورسوله .

([1]) الأبى على مسلم ٧ / ٨ .

عمر بن الخطاب ـــ رضى الله عنه ـــ يذكر حفصة وعائشـــة ـــ رضى الله عنهما ـــ بهذا الأسلوب .

" عن عبد الله بن حنين أنه سمع ابن عباس ـــ رضى الله عنهما ـــ يحـدث أنه قال : مكثت سنة أريد أن أسال عمر بن الخطاب عن آية فما أســـتطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريـــق عدل إلى الأراك لحاجة له ، قال : فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه ، فقلـت : يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبى ـــ صلى الله عليه وســـلم ـــ مـــن أزواجه ، فقال : تلك حفصة وعائشة ، قال : فقلت : والله إن كنت لأريـد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك ، قال : فلا تفعل ما ظننـــت أن عندى من علم فاسألنى فإن كان لى علم خبرتك به ، قال : ثم قال عمـر : والله إن كنا فى الجاهلية ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل ، وقسم لهـن ما قسم ، قال : فبينا أنا فى أمر أتأمره إذ قالت امرأتى : لو صنعت كذا وكذا ، قال : فقلت لها : مالك ولما هاهنا ، وفيم تكلفك فى أمر أريده ؟ فقالت : عجبا لك يا ابن الخطاب ما تريد أن تراجع أنت ، وإن ابنتك لتراجع رســـول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ حتى يظل يومه غضبان ، فقام عمر فأخذ رداءه مكانـه حتى دخل على حفصة فقال لها : يا بنية إنك لتراجعين رسول الله ـــ صلـى الله عليه وسلم ـــ حتى يظل يومه غضبان فقالت حفصة : والله إنا لنراجعه ، فقلت : تعلمين أنى أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يـــا بنية لايغرنك هذه التى أعجبها حسنها حب رسول الله ـــ صلى الله عليه وســلم ـــ إياها ـــ يريد عائشة ـــ قال : ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابـتى منها فكلمتها ، فقالت أم سلمة عجبا لك يا اين الخطاب دخلت فى كل شـــئ

حتى تبتغى أن تدخل بين رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأزواجه فأخذتنى والله أخذا كسرتنى عن بعض ما كنت أجد ، فخرجت من عندها ، وكان لى صاحب من الأنصار إذا غبت أتانى بالخبر ، وإذا غاب كنت أنا آتيه بالخبر ، ونحن نتخوف ملكا من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا ، فقد امتلأت صدورنا منه ، فإذا صاحبى الأنصارى يدق الباب ، فقال : افتح افتح ،فقلت جاء الغسانى ، فقال : بل أشد من ذلك اعتزل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أزواجه ، فقلت : رغم أنف حفصة وعائشة ، فأخذت ثوبى فأخرج حتى جئت فإذا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى مشربة له يرقى عليها بعجلة ، وغلام لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أسود على رأس الدرجة ، فقلت له : هذا عمر بن الخطاب فأذن لى ، قال عمر : فقصصت على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذا الحديث ، فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وإنه لعلى حصير ما بينى وبينه شئ ، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف ، وإن عند رجليه قرظا مصبوبا ، وعند رأسه أهب معلقة ، فرأيت أثر الحصير فى جنبه فبكيت ، فقال : ما يبكيك ؟ فقلت : يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه ، وأنت رسول الله ، فقال : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة "[١]

قوله ــ رضى الله عنه " رغم أنف حفصة وعائشة " ليس المقصود به الدعاء حقيقة بقرينة حالى المتكلم والمتكلم عنهما ، ويبدو أن المراد بالأسلوب الإنكار استفظاعا لأن يكون حدث منهما ما يغضب رسول الله ــ صلى الله

---

[١] صحيح البخارى ــ كتاب تفسير القرآن حديث رقم (٤٥٣٢) وصحيح مسلم ــ كتاب الطلاق حديث رقم (٢٧٠٥) .

عليه وسلم ــ ولقد دل الأسلوب على عظيم حبه ــ رضى الله عنه ــ رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد دفعه حبه ذاك إلى إطلاق هذا الأســـلوب خطابا لمن توقع منه أن يكون قد أغضب رسول الله ــ صلى الله عليه وسـلم ــ ولو جاء بأسلوب إنكارى آخر ما لاءم حاله تلك من شدة غضبه على من دعــا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى اعتزال أزواجه.

أسلوبا أرغم الله أنفك وأبعدك الله على لسان عائشة ـــ رضى الله عنها ـــ مخاطبة به أحد الصحابة .

" عن عمرة قال : سمعت عائشة ـــ رضى الله عنها ـــ قالت : لما جاء النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قتل ابن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس يعرف فيه الحزن ، وأنا أنظر من صائر الباب (شق الباب) فأتاه رجل فقال : إن نســـاء جعفر وذكر بكاءهن ، فأمره أن ينهاهن ، فذهب ثم أتاه الثانية لم يطعنه ، فقال : انههن فأتاه الثالثة ، قال : والله لقد غلبننا يا رسول الله ، فزعمت أنـــه قـــال : فاحث فى أفواههن التراب ، فقلت : أرغم الله أنفك ، لم تفعل ما أمرك رســـول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ولم تترك رسول الله ـــ صلى الله عليه وســـلم ـــ من العناء "([1]) وفى رواية النسائى أرغم الله أنف الأبعد "([2])

وقد جاء فى رواية لأحمد بلفظ (أبعدك الله) مكان (أرغم الله أنفـــك) وهذا نصها " عن عائشة ـــ زوج النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ قالت : لـمـــا أتى قتل جعفر عرفنا فى رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ الحزن قـــالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله إن النساء قد غلبننا وفتننا ، قال : فارجع إليهن فأسكتهن ، قال : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك ، قال : يقـــول : وربما ضر التكلف أهله ، قال : فاذهب فأسكتهن فإن أبين فاحث فى أفواهـــهن

([1]) صحيح البخارى كتاب الجنائز باب من جلس عند المصيبة أحاديث رقم (١٢١٦) و (١٢٢٢) و (٣٩٣٠) ومسلم كتاب الجنائز باب التشديد فى النياحة حديث رقم (١٥٥١) ومسند أحمد ـــ باقى مسند الأنصار حديث رقم (٢٣١٧٧) .

([2]) سنن النسائى كتاب الجنائز حديث رقم (١٨٢٤) .

التراب ، قالت : فقلت فى نفسى أبعدك الله فو الله ما تركت نفسك ، وما أنت بمطيع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قالت : عرفت أنه لا يقدر على أن يحثو فى أفواههن التراب " [1]

نحن أمام صورتين من صور الدعاء وما نذكره ــ بعون الله ــ يشمل الصورتين لاتحاد المقام الذى قيل فيه الأسلوب فى كل ، وقد ذكر شراح الحديث كلاما جيدا فى الأسلوب ، وبينوا أنه لايراد بالدعاء حقيقته ، وأنه جاء مطابقا للمقام ، قال النووى : وفيه إطلاق الدعاء بلفظ لايقصد الداعى إيقاعه بالمدعو عليه ، لأن قول عائشة : أرغم الله أنفك ، أى ألصقه بالتراب ، ولم ترد حقيقة هذا ، وإنما جرت عادة العرب بإطلاق هذه اللفظة فى موضع الشماتة بمن يقال له ، ومعنى كلامه أن الأسلوب خرج من الدعاء إلى إظهار الشماتة ، وأظنه بعيدا لصدوره من عائشة ــ رضى الله عنها .

أما السندى فقد ذكر فى حاشيته على النسائى أن أرغم الله أنفك تضجر ، وهذا أوقع من سابقه لكثرة تردد ذلك الصحابى على الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وإحراجه بإبلاغه بأن أمره لم ينفذ مرات ، فيكون الأسلوب خارجا من الدعاء إلى إظهار الضجر من المخاطب به .

وقد ذكر ابن حجر فى الفتح لطيفة وراء اصطفاء أسلوب (أرغم الله أنفك) حيث قال : ودعت عليه من جنس ما أمر أن يفعله بالنسوة لفهمها من قرائن الحال أنه أحرج النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بكثرة تردده إليه فى ذلك ، وقد ذكر أن قوله : ــ صلى الله عليه وسلم (فاحث فى أفواههن التراب) يحتمل أن يكون كناية عن المبالغة فى الزجر ، أو المعنى أعلمهن أنهن

---

[1] مسند أحمد ــ باقى مسند الأنصار حديث رقم (٢٥١٥٩) .

خائبات من الأجر المترتب على الصبر لما أظهر من الجزع ، كما يقال للخائب : لم يحصل فى يده إلا التراب ، ثم استبعد ابن حجر هذا الاحتمال لقول عائشة — رضى الله عنها — (أرغم الله أنفك) .

وقال القاضى عياض : هو بمعنى التعجيز أى أنهن لايسكتن إلا بسد أفواههن ، ولايسدها إلا أن تملأ بالتراب فإن أمكنك فافعل ، أخلص من هذا إلى أن الأسلوب بصوره المتعددة خرج من الدعاء الحقيقى إلى إظهار الضجر ، والعلاقة بين إظهار الضجر والدعاء الحقيقى هى علاقة المشابهة بين حالى المتضجر منه والمدعو عليه ، فكلاهما فى حال غير مقبولة ، والمقام هو الذى اقتضى هذا الأسلوب لما صدر من الصحابى من كثرة التردد على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإحراجه ، تأمل قول عائشة بعد أسلوب الدعاء (لم تفعل ما أمرك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولم تترك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من العناء) كأنها تقول أصبت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالضجر فاستحققت أنت الضجر .



الخـــــاتمة

بعد الإبحار بهذا الأسلوب فى السنة المطهرة ، وإبصار مواقعه فى كلامه الشريف وكلام الصحابة — رضوان الله عليهم — وجدنا أن هذا الأسلوب له مواقع لطيفة ، وقد جاء فى كل مواطنه كاشفا عن حال المتكلم ملائما حال المخاطب ، فقد رأيناه يخرج من الدعاء إلى :

١ — التعجب .

٢ — الحث على الجد والتشمير فى طلب المأمور به .

٣ — الإنكار .

٤ — الزجر .

٥ — إظهار الضجر .

٦ — المعاتبة .

٧ — الاستعظام .

٨ — تأكيد الذم .

٩ — استثارة السامع لإشراكه فى حال المتكلم استرشادا برأيه واستغاثة به فى صرف ما أحاط به .

١٠ — التبكيت واللوم .

١١ — إظهار الكراهة .

وغير ذلك من المقاصد والمرامى التى كشفتها السياقات ، وأضاءها المقامات ، وقد حاولت فقه مقاصد هذا الأسلوب ، وتلمس إيحاءاته مسترشدا بكــــلام السلف .

هذا ويبقى ما قلته هدفا للنقد ، ولا أزعم براءة من عيب ، ولا سلامة من زلـــل فتلك غاية لاتدرك ، وحسبى أننى اقتحمت هذا الباب عسى أن أخطــــو فيـــه خطوة تهدى غيرى ، أو أنبه إلى باب فى البيان النبوى الشريف أحس ثـــراءه ، ووفرة طاقاته ، ويبقى جمال هذا الأسلوب تحسه النفس ولا يحيط به الوصـــف ، وحسبى أننى اجتهدت وحاولت راجيا أن يكون جهدى هذا بابـــا إلى ســـيدى رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم وفداه أبى وأمى ونفسى وعينى ـــ ألتمس به شفاعته ، وأرجو به محبته ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأمته وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

١ . إرشاد السارى بشرح صحيح البخارى للقسطلانى ط دار إحياء التراث العربى بيروت بدون تاريخ .

٢ . أساس البلاغة للزمخشرى تحقيق عبد الرحيم محمود ط دار المعرفة ١٤٠٢ .

٣ . إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للإمام أبى عبد الله الأبى ط الرياض بدون تاريخ .

٤ . الأطول للعصام المطبعة السلطانية ١٢٨٤ هـ .

٥ . بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبى ط بيروت ١٤٠١ هـ .

٦ . تحفة الأحوذى شرح صحيح الترمذى ضمن برنامج كمبيوتر الحديث الشريف إصدار شركة صخر ثان .

٧ . تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ط عيسى الحلبى بدون تاريخ .

٨ . تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى بأعلى شروح التلخيص ط السعادة بمصر ١٣٤٢ هـ .

٩ . التبيان فى المعانى والبديع والبيان للطيبى تحقيق د/ عطية مطر الهلالى ط عالم الكتب ١٤٠٧ هـ .

١٠ . الجامع الصحيح للترمذى ضمن برنامج كمبيوتر الحديث الشريف إصدار شركة صخر ثان .

١١ . حاشية الدسوقى على مختصر السعد ضمن شروح التلخيص ط السعادة بمصر ١٣٤٢ هـ .

١٢ . حاشية السندى على النسائى ضمن برنامج كمبيوتر الحديث الشريف إصدار شركة صخر ثان .

١٣ . حاشية السندى على ابن ماجة ضمن البرنامج السابق .

١٤ . الخصائص لابن جنى بتحقيق الشيخ محمد على النجار ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م .

١٥ . خزانة الأدب للخطيب البغدادى تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط نشر مكتبة الخانجى .

١٦ . دلالات التراكيب دكتور محمد أبو موسى ط مكتبة وهبة ١٤٠٨ هـ .

١٧ . الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ط دار الفكر بيروت .

١٨ . سنن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى ضمن برنامج كمبيوتر إصدار شركة صخر ثان .

١٩ . سنن ابن ماجة البيانات السابقة نفسها .

٢٠ . سنن الدارمى البيانات السابقة نفسها .

٢١ . سنن النسائى البيانات السابقة نفسها .

٢٢ . السنن الكبرى للبيهقى ط بيروت بدون تاريخ .

٢٣ . شرح التلخيص للبابرتى تحقيق د/ محمد مصطفى رمضان ط المنشأة العامة للنشر والتوزيع بليبيا ١٣٩٢ هـ .

٢٤ . شرح المنتقى على الموطأ ضمن برنامج كمبيوتر إصدار شركة صخر ثان.

٢٥ . شرح صحيح مسلم للإمام النووى ضمن البرنامج السابق .

٢٦ . صحيح البخارى للإمام البخارى ضمن البرنامج السابق .

٢٧ . صحيح مسلم ضمن البرنامج السابق .

٢٨ . عمدة القارى شرح صحيح البخارى للعينى ط دار إحياء التراث العربى بيروت بدون تاريخ .

٢٩ . عون المعبود شرح سنن أبى داود لأبى الطيب الآبادى ط دار الكتاب العربى بيروت بدون تاريخ .

٣٠ . عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ط السعادة ١٣٤٢ هـ .

٣١ . فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ضمن برنامج كمبيوتر إصدار شركة صخر ثان .

٣٢ . قراءة فى الأدب القديم دكتور محمد أبو موسى ط دار الفكر .

٣٣ . القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣٤ . كفاية الأخيار فى حل غاية الاختصار للإمام تقى الدين الحسينى ط عيسى الحلبى بدون تاريخ .

٣٥ . كنز العمال للمتقى الهندى ط مؤسسة الرسالة بدون تاريخ .

٣٦ . لسان العرب لجمال الدين بن منظور ط دار المعارف ١٩٧٩ م .

٣٧ . مجمع الزوائد للهيثمى ط القدسى بدون تاريخ .

٣٨ . مصنف عبد الرزاق ط المكتب الإسلامى .

٣٩ . مفتاح العلوم للسكاكى تحقيق نعيم زرزور ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ .

٤٠ . مكمل إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للسنوسى ط الرياض بدون تاريخ .

٤١ . مسند الإمام أحمد بن حنبل ضمن برنامج كمبيوتر إصدار شركة صخر ثان .

٤٢ . مواهب الفتح لابن يعقوب المغربي ضمن شروح التلخيص ط السعادة ١٣٤٢ هـ .

٤٣ . المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي تحقيق محمد جاد المولى وآخرين ط بيروت ١٩٨٦ م .

٤٤ . المصنف لابن أبي شيبة ط دار الفكر بيروت بدون تاريخ .

٤٥ . المعجم الوسيط ط مجمع اللغة العربية بمصر .

٤٦ . المعجم الكبير للطبراني ط العراق بدون تاريخ .

٤٨ . المغني لابن قدامة ط دار الفكر بدون تاريخ .

٤٩ . المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني تحقيق محمد سيد كيلاني ط مصطفى الحلبي أخيرة .

٥٠ . المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ط دار ابن كثير ودار الكلم الطيب بدمشق وبيروت ١٤١٧ هـ .

٥١ . المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع للسجلماسي تحقيق د/ علال الغازي ط المغرب .

٥٢ . الموطأ لإمام مالك ضمن برنامج كمبيوتر إصدار شركة صخر ثان .

٥٣ . الموسوعة الشعرية برنامج كمبيوتر

٥٤ . نيل الأوطار للإمام الشوكاني ط دار التراث مصر بدون تاريخ .

٥٥ . النهاية في غريب الحديث والأثر تحقيق دكتور محمود الطناحي ط بيروت.

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٠٠٠/١٠٦٨٦